جامعة دمشق

كلية الشريعة

تـــاريخ الأديـــــان وحوارها

للسنة الثالثة

د. ريمه شريف الصيـَّاد

الأستاذ المساعد في قسم العقائد والأديان

للعام الدراسي

2024–2023

الموضوعات المعدلة

(المقدمات، اليهودية، المسيحية)

مقدِّمات عامَّةٌ عن الدِّيْنِ

* دين الأنبياء واحد، وهو الإسلام

* مفهوم الدِّين وخصائص الدِّين الحق

* بواعث التدين الفطرية

* الدين والعلم، وأقوال العلماء في الدين

خاتمة في بيان حاجة الناس للدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

دين الأنبياء واحد، وهو الإسلام:

وجِدَ الدِّيْنُ في هَذِهِ الدُّنْيا منْذُ أَوَّلِ البَشَـرِيَّة في الوَقْتِ الذي خَرَجَ سَـيِّدُنا آدَمُ مِنَ الجَنَّةِ، وَحَطَّ قَدَمَهُ عَلى الأَرْضِ، وخاطبَهُ رَبُّه بِقَوْلِهِ تَعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38].

والتَّديُنُ فِطْرَةٌ ذاتِيَّةٌ في النَّفسِ الإِنْسانيَّةِ، ولا يُـمْكِنُ لَها العَيْشُ السَّعيدُ والرَّاحةُ والطُّمأْنينَةُ والسَّعادَةُ إِلّا تَحْتَ ظِلِّهِ. قال تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [الروم: 30].

ولهذا اسـتَمرَّ الدِّيْنُ يُرافِقُ البَشـرِيَّةَ في أَطْوارِ حَياتِها، وَلَمْ يَخْلُ مُجْتَمَع ولا أُمَّة مِنْ ظاهِرَةِ التَّدينِ، وَلَمْ يَمُرَّ زمنٌ أَوْ عَصْرٌ بِدونِ التِزامٍ بالدِّينِ، وَلَمْ تقُمْ حَضارَةٌ ولا أُسِّستْ مَدَنيَّةٌ، ولا نَهضَتْ أُمَّةٌ إِلَّا مِنْ وَراءِ عَقيْدَةٍ دينيَّةٍ.

وَسَيَبْقى الدِّيْنُ مُرافِقاً للبَشَريَّةِ إِلى يَوْمِ الدِّينِ، وإِلى أَنْ تَفْنى البَشريَّةُ، وتَقومُ السَّاعَةُ، ويَرِثُ اللهُ الأَرْضَ ومَنْ عَلَيْها.

وَلَكِنَّ :هَلِ الدِّينُ الَّذِي جَاءَ بِهِ آدَمُ عَلَيْهِ السُّلَّامَ، هُوَ مَا جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ بَعْدَهُ؟ وَهُوَ مَا نَرَاهُ فِي عَالَمِنَا الْيَوْمَ مِنْ صُورٍ لِلْأَدْيَانَ الْمُتَعَدِّدَةَ؟

وَإِذَا تَعَدَّدَتِ الْأَدْيَانُ وَهُوَ مَا نُشَاهِدُهُ وَاقِعًا. فَمَا السَّبَبِ وَرَاءَ ذَلِكَ؟ وَهَلْ جَمِيعُهَا صُورَ صَحِيحَةَ لِلدِّينَ؟

نجيب: نعم **جاء الأنبياءُ صلوات الله عليهم بدين واحد،** قال تعالى:

{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نَوْحًا وَالَّذِي أَوْحِينَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إبراهيم وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ..} [الشورى: 13]. **وشرع هنا** بمعنى أوضح وبيَّن ما كلفكم به من الدين، فالدين واحد، والمقصـود به الإيمان بالله واليوم الآخر، وتقوى الله بامتثال أمره واجتناب نهيه، وبمكارم الأخلاق. وهي أمور اتفقت عليها رسـالات الأنبياء، وإن اختلفت بعد ذلك في التشـريعات والأحكام التفصيلية، وهو المراد بقوله تعالى {لكلٍ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً} [المائدة: 48].

والدين الواحد الذي جاء به الأنبياء هو الإسلام، قال تعالى: ﴿إن الدينَ عندَ الله الإسلام﴾ [آل عمران: 19].

وقال على لسان نوح عليه السلام: ﴿فإنْ توليتمْ فما سألتُكُمْ منْ أجرٍ إنْ أجريَ إلا على اللهِ وأُمرتُ أن أكونَ منَ **المسلمين**﴾ [يونس: 72].

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إذْ قالَ لهُ ربُهُ أسلمْ قالَ أسلمتُ لربِ العالمين، ووصى بها إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ يا بنيَّ إنَّ اللهَ اصطفى لكمُ الدينَ فلا تموتُنَّ إلا وأنتمْ **مسلمون**، أمْ كنتمْ شهداءَ إذ حضرَ يعقوبَ الموتُ إذْ قالَ لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبدُ إلهكَ وإلهَ آبائكَ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ إلهاً واحداً ونحنُ لهُ **مسلمون**﴾ [البقرة: 131- 133].

وكان جميع أنبياء بني إسرائيل مسلمين، قال تعالى: ﴿إنَّا أنزلنا التوراةَ فيها هدىً ونورٌ يحكمُ بها النبيون الذين **أسلموا**﴾ [المائدة: 44].

وكان حواريو عيسى وتلاميذه مسلمين، قال تعالى: ﴿فلمَّا أحسَّ عيسى منهم الكفرَ قالَ من أنصاري إلى اللهِ قالَ الحواريون نحنُ أنصارُ اللهَ آمنا باللهِ واشهدْ بأنَّا **مسلمون**﴾ [آل عمران: 52].

وقال خاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ مما علمه ربه تقدس في علاه: ﴿قلْ إنني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيمٍ **ديناً** قيماً ملةَ إبراهيمَ حنيفاً وما كان من المشركين، قلْ إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للهِ ربِ العالمين، لا شريكَ لهُ وبذلك أُمرتُ وأنا أولُ **المسلمين**﴾ [الأنعام: 161- 163].

فالدين الحق عند الله تعالى هو الإسلام ﴿ومنْ يبتغِ غيرَ **الإسلامِ** ديناً فلنْ يُقبلَ منهُ وهو في الآخرةِ منَ الخاسرين﴾ [آل عمران: 85].

وقد ذكر القرآن صراحة **خمسة وعشرين** نبياً، جمعت بعض الآيات العديد منهم، وتفرق ذكر الباقين في آيات أخر، كلهم دعوا للإيمان بالله وبدينه، قال تعالى: ﴿وتلكَ حُجَتُنا آتيناها **إبراهيمَ** على قومهِ نرفعُ درجاتٍ من نشاءُ إنَّ ربكَ حكيمٌ عليمٌ، ووهَبنا لهُ **إسحاقَ ويعقوبَ** كلاً هدينا و**نوحاً** هدينا منْ قبلُ ومنْ ذريتهِ **داوودَ وسليمانَ وأيوبَ ويوسفَ وموسى وهارونَ** وكذلك نجزي المحسنين، **وزكريا ويحيى وعيسى وإلياسَ** كلٌ من الصالحين، **وإسماعيلَ واليسعَ ويونسَ ولوطاً** وكلاً فضَّلنا على العالمين، ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهُم وهديناهُم إلى صراطٍ مستقيمٍ﴾ [الأنعام: 83- 87]. وقال تعالى: ﴿إنَّ الله اصطفى **آدمَ** ونوحاً وآلَ إبراهيمَ وآلَ عمرانَ على العالمين﴾ [آل عمران: 33]. وقال: ﴿وإسماعيلَ و**إدريسَ** و**ذا الكفلِ** كلٌ من الصابرين﴾ [الأنبياء: 85]. وقال: ﴿وإلى عادٍ أخاهُم **هوداً**﴾ [الأعراف:

65]، ﴿وإلى ثمودَ أخاهُم **صـــالحاً**﴾ [الأعراف: 73]، ﴿وإلى مدينَ أخاهُم **شـــعيباً**﴾[الأعراف: 85]، وقال تعالى: ﴿**محمدٌ** رسولُ الله﴾ [الفتح: 29].

وقد صرّح القرآن الكريم أن الرسل أكثر من ذلك، قال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلكَ منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾[غافر: 78]، وقال تعالى: ﴿ولقدْ بعثَّنا في كلِ أمةٍ رسولاً أن اعبُدوا اللهَ واجتنبوا الطاغوتَ﴾ [النحل: 36]، فقد عمّت الرسالات الأمم جميعاً، حتى قال تعالى: ﴿وإنْ من أمةٍ إلا خَلا فيها نذير﴾ [فاطر: 24].

ها قد أثبتنا أن الدين الحق واحد، جاء به جميع الأنبياء، وفي كل الأمم. فلماذا تعددت الأديان بعد ذلك، وتخالفت؟

* ما كان يحدث هو أنه بعد موت النبي تبقى الثلة التي آمنت به تنافح عن الدين ضد أعدائه من جهة، وتحاول استبقاء ما جاء به نقياً صحيحاً، حتى إذا مرت بهم السنون، ومات الصالحون والمسنون؛ نسوا أحكام دينهم تدريجياً أو دخل عليها من التغيير ما حرفهم عن جادة الصواب، فأدخلوا في الدين ما ليس منه؛

من ذلك محاولتهم الحفاظ على قدسية الدين بتقديس الصالحين منهم، حتى إذا مات الصالحون نصبوا أنصابا موضع مجالسهم وسموها بأسمائهم لإحياء ذكرهم، ثم إذا مات جيل آخر تحول الناس لعبادة هذه الأنصاب على أنها آلهتهم التي يعبدونها مع الله أو من دونه، فينتقلوا من الإيمان إلى الشرك أو الكفر، والعياذ بالله. وهذا ما ذكره القرآن الكريم –مثلاً– من حال قوم نوح حين أُرسل إليهم يدعوهم إلى الإسلام، ﴿وقالوا لا تَذَرُنَّ آلهتكم ولا تَذَّرُنَّ وَداً ولا سُواعاً ولا يغوثَ ويعوقَ ونسراً﴾ [نوح:23] [(1)]، وهذه كانت أسماء الصالحين منهم.

* وإننا نعلم أن الله عز وجل لم يتعهد بحفظ ما أَنزل على أنبيائه قبل محمد ﷺ، بل أوكل حفظ الدين لأهله، ولهذا كان تغييره أو ضياعه ممكناً؛ ولكن عندما جاءت الرسالة الخاتمة، ولأهمية بقائها لقيام الساعة دون تبديل؛ تعهد ربنا عز وجل بحفظها، فقال تعالى: ﴿إنَّا نحنُ نزَّلنا الذكْرَ وإنَّا لهُ لحافظون﴾ [الحجر: 9].

[(1)] روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أنهم فعلوا ذلك بإيحاء الشيطان لهم، لعنه له فهو العدو، قال تعالى: ﴿إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ [يوسف: 5]، وقال مبيناً كيف نعامله: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾ [فاطر: 6].

* ومما ييسر بقاء التحريف في الدين وتوسع مداه، طول المدة أحياناً بين نبوة وأخرى؛ كمجيء نبوة سيدنا محمد ﷺ على فترة من الرسل، قال تعالى: ﴿ يا أهلَ الكتابِ قد جاءكم رسولُنا يبين لكم على فترةٍ من الرسلِ أن تقولوا ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذيرٍ فقد جاءكم بشيرٌ ونذيرٌ واللهُ على كلِ شيءٍ قدير ﴾ [المائدة: 19].

* أضف إلى ذلك وجود المتكبرين في كل زمن، من أتباع الدين أو من أعدائهم ممن يكيدون للقضاء عليه بكل وسيلة، مع ضعف أتباعه وتقاعسهم عن الدفاع عنه، أو تداخل مصالحهم في إرضاء العدو فيتاجرون به.. كل ذلك يؤدي إلى ضياع الدين الحق، وظهور الانحرافات فيه كتعدد الآلهة بعد التوحيد الخالص، وظهور الأساطير حول بدء الخلق، أو نهاية الحياة، فيصير الفردوس أرضياً، أو تتحد الأرواح بالكون من خلال التناسخ كما بات معروفاً في الديانات الوضعية.

إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون
(الأنبياء - 92)
شجرة الأنبياء
محمد صلى الله عليه و سلم
ختام الأنبياء و المرسلين وقد أرسل إلى الناس جميعا
ملاحظة
يتجه من الأب إلى الابن المباشر
يتجه من الأب إلى الابن غير مباشر
تحيط بأسماء الرسل والأنبياء
يحي
زكريا
عيسى
من الأم مريم
سليمان
داود
صاحب إلياس قيل هو ابن عمه و قيل ينتصل نسبه بأقوام من يوسف
إلياس
اليسع
هارون
عمران
موسى
أرسل إلى أهل نينوى
يونس
بنيامين
روبيل
شمعون
يهودا
لاوي
يساخر
زبولون
دان
نفتالي
جاد
أشير
الأسباط و منهم انحدر بنو إسرائيل
أرسل إلى جرهم والعمالقة وأهل اليمن و غيرهم من العرب
يوسف
يعقوب
إسماعيل
أرسل إلى أهل مدين وهم عرب على الأرجح
شعيب
أرسل إلى عاد في الأحقاف
هود
أرسل إلى ثمود في الحجر
صالح
ذو الكفل
أيوب
عيص
إسحاق
إبراهيم
أرسلا إلى أهل دمشق وما حولها من سوريا
لوط
هارن
آزر
زمزى بفتحتان مدان بتشديد شعوها مدين
سام
هو ويعقوب عليهما السلام توأمان
نوح
يافث
حام
شعوب الترك و الصين و يأجوج ومأجوج و غيرهم
العرب البائدة
أدريس
شعوب ما قبل الطوفان
شعوب السودان و الهند و السند والقبط وغيرهم
آدم
يقول رسول الله "... الناس من آدم، و آدم من تراب" صححه الألباني في الضحاوية
ترمز إلى أولو العزم من الرسل و هم خمسة: محمد وعيسى و موسى وأبراهيم و نوح

مفهوم الدِّين وخصائص الدِّين الحق

سنحاول هنا أَنْ نُبَيِّن المَـفْهوم الصَّحيْح للدِّيْنِ، ونميِّزه عَنْ المَـفْهومِ الخطأ الشَّائعِ بِيْـنَ النَّاسِ، لتكون دراستنا مبنيَّةً على أَساسٍ سَليْمٍ ومعنى دقيقٍ، ونقدِّم لذلك بالتَّعْريْفِ اللُّغويّ:

تَعْريْف الدِّيْنِ لغةً: تعدَّدتْ معاني الدِّيْنِ في اللُّغة، وأرى أن **هَذِهِ المعاني تنحصر في إيجاد عَلاقَةٍ بِيْـنَ طرفين:**

الطرف الأَوَّل يتمتَّع بالسُّلْطانِ والقوَّةِ والجبروتِ والحكم وحقِّ القهرِ والمحاسبة والمكافأَة والمجازاة.

والطرف الثاني يقفُ في الجانِبِ الآخر ويتَّصِف بالخضوعِ والطَّاعةِ والذل والاستكانَة والعبادَةِ والورعِ.

والعَلاقَة بِيْنَ الطرفين هيَ الدِّيْنُ أَوْ المنهج والطَرِيْقة التي تحدد عَلاقَة الأَوَّل بالثاني وبالعكس[2].

وقد وردت هذه المعاني في القرآن الكريم، كقوله تعالى:

- في الطاعة والانقياد: ﴿ومن أحسنُ ديناً ممن أسلمَ وجهَهُ للهِ وهو محسن﴾ [النساء: 125].

- في الجزاء والمحاسبة: ﴿أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لَمَدِينون﴾ [الصافات: 53]. وغيرها كثير.

وكلمةُ الدِّينِ لها ثلاثة جوانبَ، تدلُّ على العَلاقَةِ السابقةِ التي أَشَرْنا إليها[3]، وَهيَ:

1- **دانه ديناً**: أي ملكه وحكمه وقهره وأذله واستعبده، وحاسبه وكافأه، فالفعل المُتعدّي بنفسه يمثل الطرف الأَوَّل الذي يتمتَّع بمعنى الملك والتصرف.

2- **دان له**: أي أطاعه وخضع لَهُ أَوْ ذل أَوْ استكانَ أَوْ عبد، فالفعل المُتعدّي باللام يمثِّل الطَّرف الثاني المتَّصف بالخضوع والطاعة.

3- **دان بِهِ**، أَوْ أدان بالشَّيءِ: أي اتَّخذه ديْناً ومَذْهَباً، أي اعتقده أَوْ اعتاده، ودان بالإِسْلام ديْناً أي تعبَّد به وتديَّن، وهوَ الدِّيْنُ أَوْ الملَّة، فالفعل المتَعدي بالباء يمثل الطَرِيْقة أَوْ المَذْهَب.

---

(2) أقرب الأَمْثِلَة لتوضيح هَذِهِ المعاني وبيان هَذِهِ العَلاقَة كلمة:

(**الدَّيْن**) فإنه يفهم منها فوراً عَلاقَة بِيْـــــنَ طرفين، أحدهما دائنٌ، وله حقُّ المطالبة، والآخر مَدينٌ، وعليه التزام الدفع وواجب الأداء، الأَوَّلُ يطالب، والثاني مطالب، والمال المطلوب هوَ الدَّيْنُ، والقواعد التي يتبعها الدائن والمدين في الدَّفعِ والسَّدادِ والتَّوقيتِ هيَ الشَّرِيْعَةُ والقانونُ، والفَرْقُ بِيْـنَ **الدِّينِ** – بالكسر –، **والدَّين** – بالفتح – أنَّ أحدهما يتضمَّن في الأَصْل التزاما أدبياً، والآخر التزاما مالياً.

ومثل كلمة (**البَيْع**) فإنها تدل على عَلاقَة بِيْنَ طرفين هما البائع والمشتري ومحلُّ العَلاقَة هوَ المبيع ونظام البيع.

(3) انظر القاموس: القاموس المحيط: 225/4، المصباح المنير: 1/ 279، مختار الصحاح: 218، الدِّيْنُ للدكتور مُحَمَّد عَبْد اللهِ دراز: 26، والنهاية، لابن الأثير: 148/2، المصطلحات الأَرْبَعَة فِي القُرْآنِ، أبو الأعلى المودودي: 116.

تَعْرِيْف الدِّيْنِ اصطلاحاً:

أولاً – تَعْرِيْف الدِّيْنِ عِنْدَ عُلَماءِ المُسْلِمِيْن:

اشتهر على لسان عُلَماءِ المُسْلِمِيْن تَعْرِيْف الدِّيْنِ بأنَّه: (وَضْعٌ إِلَهِيٌّ يُرْشِدُ إِلى الحَقِّ في الاعتِقاداتِ، وإِلى الخَيْرِ في السُّلوكِ والمُعامَلاتِ).

ويقولونَ في تَعْرِيْف آخَرَ: (وَضْعٌ إِلَهِيٌّ، سائقٌ لَذوي العُقولِ السَّلِيْمَةِ باخْتيارِهِم إِلى الصَّلاحِ في الحالِ، والفَلاحِ في المآلِ).

ويصرح التَّعْرِيْفُ الإِسْلاميّ بثَلاثَة أُمورٍ جوهرية، وَهيَ:

1- أَنَّ الدِّيْنَ **وضع إلهي**، وليس من إيحاء النَّفْس، أَوْ تخيل العَقْلِ، أَوْ تنظيم الإِنْسان، فالله سبحانه وتَعالى أَنْزل الدِّيْنَ الحَنِيْف، وأوحى بمَبادِئِهِ وتعاليمه وقيَمِه، تحقيقاً لقولِه تَعالى: {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 38]، وأنَّ الله سبحانه الذي خلق الإِنْسانَ واختاره خليفةً في الأَرْضِ لم يخلقه عَبثاً، وَلَمْ يتركه سُدى.

2- أَنَّ التَّعْرِيْفَ ينصُّ على أَنَّ الدِّيْنَ **عَقِيْدَة وشريعة**، أَوْ **عَقِيْدَة ونظام** في الحَياةِ، فَهوَ ليس مجرَّد اعتقاد، بَلْ هوَ الاعتقاد الحقُّ، والإِيْمانُ الصَّحِيْحُ الذي لا يشوبه شيءٌ، وَهوَ ليس مجرَّد شريعةٍ ونظامٍ فحسب، بَلْ هوَ نِظامٌ ربانيٌّ، وشريعةٌ إِلَهِيَّةٌ لضمان الفوز والفلاح في الدُّنْيا والآخِرَة.

3- بيان الربط **بيْنَ العَقِيْدَة والعَقْلِ**، وأَنَّ الدِّيْنَ متَّفِقٌ تماماً مَعَ العَقْلِ السَّلِيْمِ، وأنَّه لا مُنافاةَ ولا مناقضة بِيْنَ الدِّيْنِ والعَقْلِ.

ثانياً – تَعْرِيْف الدِّيْنِ عِنْدَ الغربيين:

ظَهَرَتْ تَعْرِيْفات كَثِيْرَة للدِّيْنِ في الغرب، وَتنوعت بحسب مواقفهم؛ فمن نظرتهم إِلى الكنيسة الكاثوليكية وتاريخها فِي العُصورِ الوُسْطى، ومَوْقِفها مِنَ المُلوكِ والحُكَّامِ والإِقطاع والرِّق والحروب والحجر على العِلْم والاكتشافات، ثُمَّ مَوْقِف الثورة الفرنسية وَمَا تبعها من الكنيسة ورجال الدِّيْنِ والأَفْكارِ الدِّيْنِيَّةِ، ثُمَّ تبَني العلمانية ومحاربة الدِّيْنِ وطرد رجال الدِّيْنِ الذين كانوا يمثلون السُّلْطِة الرُّوْحيّة والماديَّة العليا، ويوجّهون السياسة والتَّشْرِيْع والقضاء فِي العَهْدِ السابق[4].

ومن خِلالَ هَذِهِ الصُّورَ ظَهَرَتِ التَّعْرِيْفاتُ المتباينة عَنِ الدِّيْنِ، وهي تَعْرِيْفات كَثِيْرَة جدّاً[5] نقتصر على ثَلاثَة نماذج منها:

---

[4] انظر: دراسات فِي النَّفْسِ الإِنْسانية: 228، الدِّيْنُ والحَضارَةُ الإِنْسانية: 10، الدِّيْنُ: 82.

[5] انظر هَذِهِ التَّعْرِيْفات في كتاب الدِّيْنِ، لدراز 29 وَمَا بعدها.

1- يقول **جويوه** في كتاب (لا دِيْنِيَّة في المستقبل): (الدِّيانَةُ: هيَ تصوُّر المجموعة العالمية بصُورَةِ الجماعة الإنسانية، والشعور الدِّيني هوَ الشعور بتبعيتنا لمشيئات أُخرى يركزها الإنسان البدائي في الكون).

فهذا التَّعْرِيْفُ يمثِّل النَّموذج الذي ينكر جَوْهَرَ الدِّيْنِ في وجود الخالِق المبدع، أَوْ الإله المعبود، ويتَّجه إلى الاستخفاف والاستهزاء والسّخرية من الدِّيْنِ، وأنه تصوُّر مثالي للإِنْسانِيَّةِ، أَوْ اختراع لمشيئات من العَقْلِ البدائي.

2- يقول **شلاير ماخر** في (مقالات عَنْ الدِّيانَةِ): (قوام حقيقة الدِّيْنِ شعورنا بالحاجَةِ والتَّبعيَّةِ المُطْلَقة لقوَّةٍ قاهرةٍ أو ماهرة).

وهذا التعريف يفسر جانباً من الدين وهو الخضوع لقوة قاهرة، ولكنه لا يحدد طبيعة هذا الخضوع وهذه القوة، إذ لو كان كل خضوع ديناً؛ لكان أحق الضرورات بهذا الاسم حاجتنا إلى التنفس والغذاء، واستسلامنا التام لسائر العوامل الكونية من جاذبية وغيرها.

3- يقول **الأب شاتل** في كتاب (قانون الإنسانية): (الدِّيْنُ هوَ مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالِق: واجبات الإِنْسان نحو الله، واجباته نحو الجماعة، وواجباته نحو نفسه).

وَهوَ أرقى تَعْرِيْف للدِّيْنِ عِنْدَ عُلَماءِ الغرب، وَهوَ يمثِّل طبيعة الدِّيْنِ النَّصرانيّ بَعْدَ انحسار الكنيسة عَنْ الحَياةِ والسُّلْطِة، وتحديد مهمتها في أماكن العبادة، وأنَّ وظيفتها تنحصر في صِلَة الإِنْسانِ بربّه من الناحية الرُّوْحيّة، وَصِلَته بالمُجْتَمَع من الناحية الخُلقية، أما ما يتعلق بالتشريع والسياسة فلا علاقة للدين بذلك.

وهكذا نلحظ في تعريفات الغربيين أن منها من ألغى فكرة الإله تماماً، ومنها من أظهر بعض صفات الإله، ومنها من اعترف بوجود الإله، ولكنه قصر العلاقة مع الله ببعض جوانب الحياة فقط.

*** خصائص العقيدة الدينية:**

بالمقارنة بين تعريف المسلمين للدين، وتعريفات الغربيين له، وبتحليل الفكرة الدينية على حقيقتها، يمكن القول:

إنَّ المِيّزاتِ التي تجعَلُ منَ الخُضوعِ دِيْناً أَمْ لا، تنقسمُ باختصارٍ إلى قسمَينِ:

أ - صفات الشيء الذي يقدِّسه المتدَيِّن.

ب – العنصر الذاتي النفسي[6].

ويُمْكِنُنا تفصيل ذَلِكَ بشرحِ الخصائص المهمَّة للعَقيْدَةِ الدِّيْنيَّةِ، وَهيَ:

* إن الإنْسان يُقدِّس الشرف والعرض والحريَّة والكرامة، ويخضع لقَوانيْنِ الكون وسننه الثَّابتة، وَلَكِن هَذِهِ الأُمور لا تسمى ديْناً، لأَنَّها معانٍ عقليَّة مجرَّدة وتصورات شائعة مُبْهَمِة، أَمَّا المُتديِّن فإنَّه **يهدف إلى تقديس حقيقةٍ خارجةٍ عَنْ نِطاقِ الأَذهانِ**، وإن كانت لا تُعبِّر عنها الأذهان أَوْ لا تستطيع تصوّرها، **فالتَّقْديْسُ الدِّيْنيُّ يتَّجه إلى ذات مستقلَّةٍ قائمةٍ بنفسها**، وتكون العَقيْدَة الدِّيْنيَّةُ صِلَة بيْنَ ذاتٍ وذاتٍ، لا بيْنَ ذاتٍ وفكرَةٍ مجرَّدةٍ.

* إن الذات التي يُقدِّسها المُتديِّن **شيءٌ غيبيٌّ** لا يحيطُ بحقيقة كنهه عقل الإنسان ووجدانِه، وإن أدرك وجوده وعرَف شيئاً من صفاتِهِ.

* إنَّ الذَّات المُقَدَّسَة **ذات قوَّة فعَّالةٍ ومؤثّرةٍ** في غيرها، كَمَا أنها **ذات قوَّة عاقلة** تُدرِك أَهدافَها، وتتَّجه بالفعل إلى تَحْقيْقِ أَغْراضِها بمحضِ إرادَتها ومشيئتها.

* **إن هَذِهِ القوَّة العاقلة المدبّرة لها اتِّصالٌ معنويٌّ بنفس المُتديِّن** وبالنَّاس جميعاً، وليست بعيدةً عنهم أَوْ منقطعةً عَنْ حَياتِهِم، بَلْ تَرْعى شؤونهم، وترعى آمالهم وآلامهم، وتسمع دُعاءَهم ونجواهم، وتكشِف السُّوْءَ عنهم متى شاءَت ذلك، ولها عناية مستمرَّة بشؤونِ العالم الذي تدبرُّه.

* **إن هَذِهِ القوَّة المعبودة هيَ قوَّةٌ علويَّةٌ سُبحانيَّةٌ قاهرَةٌ**، يخضع لها المُتديِّنُ، ويقف منها العابد مَوْقِف الآمل المتَواضعِ، يطلب منها الرضى، ويُشْفِقُ من غضبِها وسخطها.

* **العنصر الذاتي النَّفْسي**: ويضاف إلى الخصائص السابقة في موضوع العَقيْدَة الدِّيْنيَّةِ عنصر ذاتيّ نفسيّ يتميَّز به المُتديِّن عَنْ غيره، وهوَ الخضوع الشُّعوريّ الاختياريّ للمعبود، فالمُتديِّنُ يُقدِّس ويمجِّد معبودَه عَنْ طواعيةٍ واختيارٍ، لأنه يستحقُّ ذلك، ويقوم بالعبادةِ والتَّعظيمِ مَتى كانَ مُقتَنِعاً بِدونِ إكراهٍ، ولذلك بيَّنَ القرآن الكريم أنَّ الصَّلاةَ كَبيْرة وشاقَّة وصعبة إلَّا على المُتَّقين، قال تَعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 45-46].

* كذا فإنَّ خضوعَ المُتديِّن لمعبودِه يُشعرُه بالتَّرفيه عَنْ القلبِ، ويفتح أمامه الآفاق، ويُنْزِلُ عَنْ ظهره الأثقالَ، ويجعله يتطلَّع باستمرار إلى الأَمَلِ وتفريج الكروب دون أَنْ يتسرَّب إلى نفسه اليأْس أَوْ يفرض عَلَيْهِ الكبتَ، أَوْ يسدَّ أمامه الأَمَلَ، أَوْ يحدَّ من عمله، بَلْ يَكونَ المُتديِّنُ دائماً بيْنَ الرَّغبةِ والرَّهبةِ، أَوْ بيْنَ الأَمَلِ والحذَرِ والرَّجاءِ.

---

[6] راجع الدِّيْنِ، للدكتور مُحَمَّد عَبْد اللهِ دراز: 36 وَمَا بعدها، دراسات فِي النَّفْسِ الإنْسانية: 214.

هذه الصِّفاتُ تُمثِّل خصائص العَقيْدَة الدِّيْنيَّةِ، الحقة والباطلة، وتُميزها عَنْ غيرها من العقائد والمَبادِئ والأَفْكارِ، التي لم تصل إلى فكرة الدين. وقد اتفقت كلمات الباحثين في نفسيات المتدينين وعقلياتهم على أنه **ليس هناك دينٌ أياً كانت منزلته من الضلال والخرافة، وقف عند ظاهر الحس**، واتخذ المادة المشاهدة معبودة لذاتها، وأنه ليس أحدٌ من عُباد الأصنام والأوثان كان هدفُ عبادته في الحقيقة هياكلَها الملموسة، ولا رأى في مادتها من العظمة الذاتية ما يستوجب لها منه هذا التبجيل والتكريم. وكل أمرهم هو أنهم كانوا يظنون أنها مهبطاً لقوة غيبية، أو رمزاً لسر غامض، يستوجب منهم هذا التقديس لها. فهم لا يتصورون وجود خصائص ذاتية كامنة فيها، وإلا لتعلموا كيفية إخراجها منها، ولكنهم يتصورون وراءها أو حولها روحاً عاقلة مدبرة، مستقلة الإرادة تستطيع أن تغير بمشيئتها سير الأمور ومجرياتها[7].

ولذلك فقد **لخَّص الدكتور دراز مفهوم الدِّيْنِ الجامع للخصائص السابقة بقولِه:**

(الدِّيْنُ هوَ الاعتقادُ بوجودِ ذاتٍ – أَوْ ذواتٍ – غَيْبيَّةٍ عُلْويَّةٍ، لها شعورُ واختيارٌ، ولها تَصرُّفٌ وتدبيْرٌ للشُّؤونِ التي تعني الإِنْسانَ، اعتِقَادٌ مِنْ شأْنِه أَنْ يَبْعَثَ على مُناجاةِ تلك الذَّاتِ السَّاميةِ في رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ، وفي خُضوعٍ وتَمْجيْدٍ)[8].

---

[7] راجع الدِّيْنِ، للدكتور مُحَمَّد عَبْد اللهِ دراز: 74 .

[8] الدِّيْنُ: 85.

بواعث التَّديُّن الفطرية

الأدلة الفَلْسَفيَّة عَلى الغَريْزَةِ الدِّيْنيَّةِ:

ويَستدِلُّ عُلَماءُ الأَدْيانِ والاجتماعِ والفَلْسَفَةِ على كَوْنِ التَّدَيُّن فطرةً بالاستقراءِ والاستنتاجِ، للكشْفِ عَنْ بَواعِثِ التَّدَيُّنِ الفِطْرِيَّةِ، ويُمْكِنُ إِيجازُها بِمَا يلي:

1 – إنَّ **نَزْعة التَّدَيُّنِ ظَهَرَتْ من غَريزَةِ التَّطلعِ إلى الغيبِ** ومحاولةِ معرفةِ الحَقيْقةِ الرَّابضـــةِ وراءَهُ، وعدمِ الوقوفِ عِنْدَ حقيقَةِ الواقعِ الحسيّ، والعودةِ إلى التَّأَمُّلِ في المسائلِ الأَزليَّةِ:

لم خُلقِ الإِنْسانُ؟ ومن خلقَه؟

ولم خُلِقَ الكَوْنُ؟ ومتى؟ ومن خلقَه؟

وَمَا هوَ مبدأُ الإِنْسانِ؟ وَمَا هيَ غايتُه وهدفُه؟ وإلى أَيْنَ نسيرُ؟

وَمَا هيَ نهايةُ الكَوْنِ؟

وَمَا هوَ مَصيْرُ الإِنْسانِ؟ وماذا بَعْدَ المَوْتِ؟

وغير ذَلِكَ من الأســئلَةِ التي تَدْفَعُ الإِنْســانَ إلى الإِيْمانِ باللهِ، وإلى النَّظرِ والبَحْثِ والسَّــعيّ والعِلْمِ والاكتشــافِ، وهذا التَّطلُّعُ والتَّأَمُّلُ في هَذِهِ القضــايا الغيبيَّةِ كانت ولا زالتْ وســتبقى الشُّــغْلَ الشَّــاغِلَ للإِنْسانِ، ويريدُ الوصولَ إلى اليَقيْــنِ أَمامُ مُشْكِلاتِ الكَوْنِ الكُبْرى، مَهْمَا تقدَّمَتْ به الــمَدَنيَّةُ، وتَعَدَّدَت الاكتشــافات، وتَرقَّى العِلْم، لأَنَّ العِلْمَ عاجِزٌ قطْعاً عَنْ الإِجابَةِ على هَذِهِ الأَســئلَة، وأَنَّهُ مُقيَّدٌ بكَشْــفِ نَواميْسِ الكَوْنِ دوْنَ أَنْ يغيّرَ منها شيْئاً، وأنَّ مجالَه مُحدَّدٌ في النَّواحي الماديَّةِ التي وضِعَتْ تَحْتَ حواسِّه، كَمَا سَنَرى بَعْدَ قليلٍ.

2 – **عَجْز الإِنْســانِ وحاجَتُه إلى قوَّةٍ جبَّارةٍ تُنْقِذُه مِنَ المهالكِ** وتُعينُه وقت الشِّــدةِ، ويســتغيثُ بها وقت الضِّيقِ، فتنجده وتخرجه مِنَ المآزقِ، وتُقَدِّمُ لَهُ العونَ عِنْدَ الحاجَةِ، وهذا العَجْزُ موجودٌ في كُلِّ نَفْسٍ، ويلمسُه الإِنْسانُ في نفسِه، ويسمعُه من غيرِه.

ســأَلَ رجلٌ الإمامَ **جعفرَ الصَّــادق** عنِ اللهِ فقالَ: أَلَمْ تركبِ البحرَ؟ قال: بَلى، قالَ: فهلْ حدَثَ لكَ مرَّة أنْ هاجَتْ بكم الرِّيحُ عاصــفَة؟ قال: نعم، قال: وانقطعَ أَمَلُكَ مِنَ الـــمَلَّاحينَ والنَّجاةِ؟ قال: نعم، قال: فهلْ خطرَ في بالكَ وانقدحَ في نفسِك أنَّ هُناكَ مَنْ يَسْتَطيعُ أَنْ يُنْجيكَ إِنْ شاءَ؟ قال: نعم، قال: فذلكَ هوَ اللهُ.

هذا الشُّعورُ النَّفْسيُّ بوجودِ المنْقِذِ مِنَ الهَلاكِ، والــمُنْجي من الهمّ والغمّ والحزنِ والكَربِ، إِمَّا أَنْ يبقى مَعَ الإِنْسان فيَكونَ مؤمِناً، وإِمَّا أَنْ يتنكَّر لَهُ، ويجحَد هذا الفَضْل، ويُعْرِضُ عَنْ ربِّه، فيَكونَ كافراً ومُلْحداً أَوْ ضالّاً، وقد صوَّر القُرْآنُ الكَريْمُ في آياتٍ كَثيْرَةٍ، ومواطِن مختلفَةٍ هَذِهِ النَّماذجَ مِنَ النُّفوسِ، منها:

قوله تَعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَـــرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 62 - 23].

3 - ومن دوافعِ الفِطْرَةِ إلى التَّدَيُّنِ **الإحساسُ بالرَّهبةِ** أَمامَ هذا الكَوْن العظيم وَمَا يَجْري فيه مِمَّا يُحرِّكُ أحاسيسَ الإِنْسانِ، ويوقِظُ مَدارِكَه، ويدفعُ عقلَه - بالغريزةِ والفِطْرَةِ - ليبحَثَ عَنْ خالقِ الكَوْنِ، فيأْنَسُ بِهِ، ويُطَمِئنُ قلبَه عنَده، ويُهدِّأُ روعَه وخوفَه، ويعقِدُ أَواصِـــرَ التَّقرُّبِ لَهُ، ثُمَّ يُقَدِّمُ الطَّاعَةَ والعِبادَةَ لعَظَمَتِه، وهذا هوَ الدِّيْنُ.

ومن ذلك قوله تَعالى على لســـان إبراهيم: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ [يس: 22 - 23].

4 - **مِـنَ الـدَّوافِعِ الفِطْرِيَّـة للتَّـديُّنِ المـوْتُ** الـذي يَـرْدَعُ الأَحيـاءَ ويهـزمُهم إلى الأَعمـاقِ[9]، وينبِّــه فـيهم القــوى المعطَّلــة، والأجهــزة المتجمِّــدة، - والإحســاس المخــدّر، ويزيــل مــن أمــامهم الحُجـبَ، ويَكْشِـفَ لَهُـمْ الطَرِيْـقَ، ويُـذْهِبُ الغـبشَ عَـنْ العَـيْنِ، فيَصْـحو الإِنْسـانُ لنفسِـه، ويتفكَّـرُ في حَياتِـهِ، ويبحـثُ عَـنْ الهـدفِ مِـنْ الحَيـاةِ، ويسـتطلِعُ مَـا بَعْـدَ المـوْتِ، ويُـدْرِكُ تَمامـاً قيمـةَ الحَيـاةِ الآخِـرَةِ، وتفاهَـةَ الـدُّنْيا، وأَنَّهـا مَتـاعٌ قليـلٌ، وأنَّ الكمـالَ الحقيقـيَّ الـذي يَتَّفِـقُ مَـعَ تَكْـريمِ الإِنْسـانِ وتفضـيلِه علـى سـائرِ الـمَخْلوقاتِ أنْ تَكـوْنَ نفسُـهُ وروحُـه باقيَـةً بَعْـدَ المـوْتِ، وأنَّ لها حيـاةً أُخْـرى بَعْـدَ هَـذِهِ الحَيـاةِ يلتَقـي فيْهـا الأَحبَّـةَ والخُـلَّانَ، وفيهـا يُحاسَـبُ كُـلَّ إنسـانٍ علـى عملِـه، لتَتَحَقَّـقَ العدالَـةُ الـمُطْلَقَة، فَيَلْقـى كُـلُّ إنسـانٍ جَـزاءَ عملِـهِ، إنْ خَيْـراً فخيْـرٌ، وإنْ شـرّاً فشـرٌّ، يقـولُ الإمـامُ عليٌّ كـرَّم الله وجهـه: «النَّـاسُ نيـامٌ فَـإذا مَـاتُوا انْتَبَهـوا»[10] ونقْـشُ عُمَـرَ رضـي الله عنـه علـى خاتَمِـه: «كَفى بالمَوْتِ واعِظاً لَكَ يا عُمَر»[11].

5 - **التَّأَمُّلُ في نِظامِ الكَوْنِ وأَجْزائِهِ والتَّفكُّر في المخلوقاتِ**، بَدَءاً من الإِنْســانِ وتَكْوِيْنِه وأعضــائِهِ وأجهزتِهِ، وليسَ انتِهاءً بالنُّجومِ والمجرَّاتِ وطبقاتِ الأَرْضِ... وكلَّما تقدَّمَ العِلْمُ وقفَ العُقَلاءُ مَبْهورينَ من عظمَةِ هذا الكَوْنِ ونِظامِه الدَّقيقِ، ليقِفوا بكلِّ خشـــوعٍ وإجلالٍ وتذلُّلٍ أمامَ القدرةِ الخالِقةِ المكوِّنَةِ، وهذا انتقالٌ مِنَ المخلوقِ إلى الخالِقِ، ومن الطَّبيعَةِ إلى مُكوِّنِها وبارئِها، ومِنَ المسبَّب إلى السَّببِ، ومِنَ المصنوعِ إلى الصَّانعِ، مِـــمَّا يقتضيهُ العَقْلُ ويسوقُ إِلَيْهِ الفِكْرُ في أَدقِّ الأُمورِ وأجَلِّها، وأحقَرِ الأَشْياءِ وأَعظَمِها،

---

[9] دراسات في النَّفْسِ الإِنْسانية: 221.

[10] كشف الخفاء: 422/2.

[11] أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق: 260/44.

وَهوَ مَا نطقَ به لك الأَعرابيُّ بفطرتِه السَّـــليْمَةِ فقالَ: الْبَعْرَةُ تَدُلُّ عَلَى الْبَعِيرِ، وَأَثَرُ الْأَقْدَامِ يدلُّ عَلَى الْمَسِيرِ، فَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ وَأَرْضٌ ذَاتُ فِجَاجٍ هَلَّا تَدُلَّانِ عَلَى اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ؟

والقُرْآنُ الكَرِيْمُ عَرَضَ جَولاتٍ كَثِيْـــرَةٍ جدّاً مَعَ هذا الباعثِ الفِطريّ للتَّديُّنِ، ليحثَّ العَقْلَ على التَّأَمُّلِ بالكَوْنِ والتَّدبُّرِ في المخلوقاتِ والبَحْثِ عَنْ نِظامِها العَجيبِ، ليغْرِسَ في نفسِه الإِيْمانَ والعَقيْدَةَ، مِنْ ذَلِكَ:

قوله تَعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِـــكُمْ أَفَلَا تُبْصِـــرُونَ * وَفِي السَّـــمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: 20 – 22].

الأدلة الشَّرْعيَّةُ عَلى الغَرِيْزَةِ الدِّيْنيَّةِ:

ويُمْكِنُنا أَنْ نســـتَدِلَّ على غَريزةِ التَّدَيُّنِ في الإِنْســـانِ، وأَنَّها مَفطورَة في نفســـهِ وتَكْوِيْنِهِ بالدَّليلِ النَّقليِّ الصَّريحِ المباشرِ مِنْ كِتابِ اللهِ تَعالى، في الآياتِ التي تحدَّثتْ عَنْ خلْقِ الإِنْسـانِ وفَطْرَتِه وجبلتِه، وَمَا رافَقَ ذَلِكَ من وجودِ الدِّيْنِ في النَّفْسِ البَشَريَّةِ.

1 – قال الله تَعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِـــدُ فِيهَا وَيَسْـــفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَـــبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَـهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَـادِقِينَ * قَالُوا سُـبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ... ﴾ [البقرة: 30 – 33]، ثُمَّ يقول تَعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38].

2 – قال تَعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُـكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَـةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً﴾ [طه: 123 – 125]؟ فهذِه النُّصوصُ تُصرّحُ بأنَّ الإِنْسانَ خليفَةُ اللهِ في أَرْضِه، وإِنَّ الهِدايةَ والدِّيانَةَ والإِيْمانَ رافقَه منْذُ هُبوطِه إلى الأَرْضِ.

3 – قال تَعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَـراً مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَـوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَـاجِدِينَ﴾ [ص: 71– 72]، وهذا النَّصُّ يُصرّحُ بطبيعةِ الإِنْسـانِ وأَصْلِ خلْقِه وجبلَّتِه، وأَنَّهُ مِنْ طيْنٍ، مَمْزوجٍ بروْحِ اللهِ تَعالى، وأَنَّ الجَسـدَ لا ينفَصِـلُ عَنِ الرُّوحِ، وأَنَّ كُلَّ مُحاوَلَةٍ للفصـلِ أَوْ بذْرِ الشِّقاقِ بَيْنَهُما شُذوذٌ وانحِرافٌ في السُّلوكِ، وعاهَةٌ في التَّكْوِيْنِ، كَمَا أَنَّ كُلَّ عنصرٍ لَهُ مُتطلَّباتٌ، وخُلِقَتْ لَهُ ميولٌ للمحافظةِ عليه، فالطَّعامُ والشَّـــرابُ والجِنْسُ للمحافظَةِ على الجَسَـــدِ، والتَّدَيُّنُ للمحافَظةِ على الرُّوحِ.

4 – قال للهِ تَعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: 172]، فهَذِهِ الآيَة صَريحَةٌ في وجودِ التَّدَيُّنِ فِي النَّفْسِ الإِنْسانيَّة قَبْلَ وجودِها وظُهورِها على ظَهْرِ البَسيطَةِ[12].

5 – قال الله تَعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم: 30]، فالنَّفْسُ أَوْ الفِطْرَةُ خلَقَها اللهُ تَعالى، وأَوْدعَ فيْها هذا الاتجاه إلى الخالِقِ، وأنَّ الإِنْسانَ مَهْمَا ابتَعدَ عَنْ منهجِ اللهِ وجحَد وجودَه، وكفَرَ بالدِّيْنِ، فإنَّه لنْ يَسْتَطيعَ أَنْ يغيِّرَ فطرتَه: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله﴾

= بدَليلِ أَنَّهُ لا يَسْتَطيعُ أَنْ يحجُبَ هَذِهِ الفِطْرَة مِمَّا يجيشُ فيْها عِنْدَ الأَزَماتِ والأَوْقاتِ الحرجَة، وأمامَ البَواعِثِ السَّابقَة للتَّدَيُّنِ.

= وبَدليلِ مَا يجدُ الإِنْسانُ منَ النَّدمِ على الأفعالِ الذَّميمَةِ، ومَن وخزِ الضَّميرِ – إِنْ بَقيَ عندَه ضميرٌ وَلَمْ تفسدْهُ المفاتِنُ والشَّياطينُ، وهذا مَا قصَده رَسُولُ اللهِ صلى الله عَلَيْهِ وسلم فِي الحَديْثِ الشَّريفِ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»[13].

فالإِنْسانُ لا غِنى لَهُ عَنْ التَّدَيُّنِ، لأَنَّهُ جزءٌ من ذاتهِ ونفسهِ وفطرتِهِ، ولذا يُجيبُ **أَحَدُ الفَلاسِفَةِ الفَرنسيّن** على سؤالِ: لماذا أَنا مُتديّنٌ؟ فيقولُ: لأَنَّني لم أُحرِّك شَفَتي بهذا السؤال مرَّةً إِلَّا وأُراني مَسْوقاً للإِجابَةِ عَلَيْهِ بِهذا الجواب، وهو: أَنا مُتديّنٌ لأَنَّني لا أَستطيعُ أنْ أَكونَ خِلافَ ذلكَ، لأَنَّ التَّدَيُّنَ لازِمٌ مَعْنَويٌّ مِنْ لَوازِمِ ذاتي[14].

ويقول الشَّيْخُ **مُحَمَّدُ عَبْدُه** متحدِّثاً عَنْ الشُّعورِ الدِّيني المرتَبط بوجودِ الحياة الآخِرة: (هَذا الشُّعورُ العام بِحَياةٍ بَعْدَ هَذِهِ الحَياةِ المُنْبَعِثُ في جَميْعِ الأَنْفُسِ – عالِمِها وجاهِلِها ... قَديمِها وَحَديثِها – لا يُمْكِنُ أَنْ يُعدَّ ضلَّة عقليَّة أَوْ نَزْعة وهميَّة، وإِنَّما هوَ من الإِلْهاماتِ التي اختصَّ بها هذا النَّوْعُ ... ذَلِكَ إِلْهامٌ يَكادُ

---

[12] وغير ذَلِكَ من الآيات كقوله تَعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ أَمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ [الإِنْسان: 3]، وقوله تَعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: 7 – 10]، وانظر دراسات فِي النَّفْسِ الإِنْسانيَّة: 215.

[13] رواه البخاريُّ في الجنائزِ، بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ (1358) ومسلم في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة... (2658).

[14] القرآنُ والطَّبائعُ النَّفْسيَّة: 21، 44.

يُزاحِمُ البديهيَّةَ في الجِلاءِ...، شـــعورٌ يهيجُ بالأَرْواحِ التي تُحسُّ هَذا البقاء الأَبَديّ، وَمَا عســـى أنْ تَكوْنَ عَلَيْهِ متى وَصَلَتْ إِلَيْهِ ...)[15].

[15] رِسالَةُ التَّوحيدِ، له: 69 – 71.

الدين والعلم ، وأقوال العلماء في الدين

أولاً – وَظيْفَةُ العِلْم ومَجالُه:

إنَّ وَظيْفَةَ العِلْم والـــــمَجالَ الذي يعمل به والدائرة التي يَدورُ فيْها والإطار الذي يغطيه **محصـــور في النواحي الحسية ويقتصر على الأُمورِ التجريبية** التي تَخْضَعُ للتَّجْرِبَةِ وتدركها الحواس من السمع والبصر واللمس والشم والذوق، وهي أُمورٌ مادية محضة فالعِلْم يقف عِنْدَ حُدوْدٍ لا يتَجاوَزها.

= أَمّا وَظيْفَةُ الدّيْنِ في الحَياةِ فإنَّها ذات مَجالٍ رحب، وتَعْمَلُ في دائرة أوسع بكَثيْـــرٍ جداً وتخرج عَنْ هذا الإطار بأضعاف مضاعفة، **فيَبْحَثُ الدّيْنُ** عَنْ الكَوْنِ وَما وَراءَ الكَوْنِ، ويتحدث عَنْ المادَّة والرّوحِ، ويتَناوَل الحَياةَ وَما وَراءَ الحَياةِ، ويدرك الأُمورَ الحســية والقضــايا الغيبية، ويهتم بالإنْســان من النواحي الجِسْميَّة والرّوْحيّة والنَّفْسية والاجتِماعيَّة والتربوية...

وغيرها مِنَ المسائل المعنوية التي لا يطولها العِلْم، ولا تدخل تَحْتَ وسائله الماديَّة التجريبية المحدودة.

= ويضاف إلى ذَلِكَ أَنَّ الدّيْنَ يدعو إلى العِلْم، ويرشدنا إلى أَسْرارِ الكَوْنِ، ويحثنا على كَشْفِ ما فيه ويمنُّ علينا أَنَّهُ سخَّر لنا ما في الأَرْضِ جَمْيعاً، ولذلك فكلُّ ما وصل إِلَيْهِ العِلْمُ من اختراعاتٍ واكتشافاتٍ، وكلُّ ما قَّدمهُ للبَشَـريَّةِ فَهوَ جزءٌ من دعوة الدّيْنِ، مَعَ التنبيه المتكرر إلى المَـــفْهوم الصَّـحيْحِ للدّيْنِ الذي حدَّدناه سابقاً، وَهوَ ديْنُ الله الحقيقي، وهوَ الإسْلام ﴿إنَّ الدّينَ عِنْدَ اللهِ الإسْلامُ﴾ الذي دعا إلى العِلْم، وجعله فرضاً عينياً أَوْ كفائياً على المؤمنينَ[16].

ولذلك فإنّ مَجالَ الدّيْنِ الصَّـحيْح أوسع بكَثيْـــرٍ من مَجالِ العِلْم، فالدّيْنُ يشـمل كُلَّ شـيءٍ في الحَياةِ الدُّنْيا، ويفتح لنا نافذة على الحَياةِ الأُخْرى وإذا أَرَدْنا التمثيل الهندســي للدّيْنِ والعِلْم فتَكونُ دائرة الدّيْنِ كَبيْـرة جدّاً، وقد يصعب تقدير محيطها، ويمثل العِلْم دائرة صغيرة ضمن دائرة الدّيْنِ، وقد يتغير محيط دائرة العِلْم ضـيقا واتسـاعا، وقد تنقص وتزيد، وقد تضـمر وتنمو، حسـب التَّقَدُّمِ العِلْميّ والرقي الحضـاري والاكتشافات الكَوْنية والتطور التقني في الوسائل والأساليب.

---

[16] ولا نعني بالدّيْنِ هنا المَـفْهوم الكَهَنوتي الكنسي الذي حارب العِلْم وحجر على العُلَماءِ وقتل المخترعين والمكتشفين وفرض على النّاس تفسيرات باطلة، وسخافات ساذجة، والتأويلات الباطلة صبغوها باسمِ الدّيْنِ، علماً بأن هَذِهِ القضايا تدركها الحواس وتخبرها الوسائل والأدوات الماديَّة، وتستطيع الوصول إلى غورها بالبَحْثِ والمشاهدة والتجارب والتَّفْكير، وتدخل تَحْتَ مقدور الإنْسـان، فلا تحتاج إلى وحي السَّـماء ولا إلى أخبار الرسـل والأَنْبياء ولذلك لم تأتِ بها الكُتُب السَّماويَّة، وإنَّما اقتصرت على مجرد الإشارة إلى بَعْضِ أَسْرارِ الكَوْنِ وأرشدت إلى وجوب الاستفادة منها والسعي وراءها.

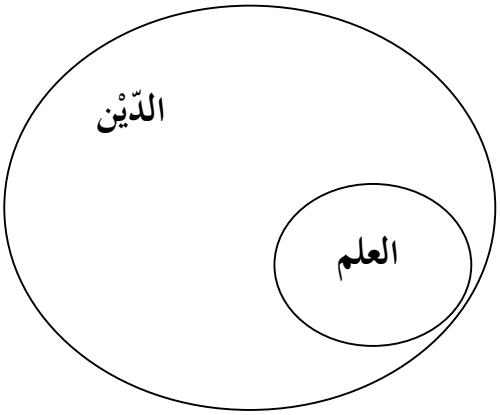

وينتج عَنْ معْرفَة مَجالِ العِلْم ومَجالِ الدّيْنِ **أن العِلْم عاجز عَنْ قضـايا كَثيْـــرَة لا تدخل في إطاره،** ويستحيلُ عَلَيْهِ معرفتها لأَنَّها خارجة عَنْ نطاقه وإمكانياته ومجاله واختصاصه، مِـمّا يستوجب أن نتلمس لها مصدرا آخر غير العِلْم، ونكون بحاجَة إِلَيْهِ ليمدنا بالمعْرفَة مِمّا يعجز عنه العِلْم، وأَهَمها :

1 – **معْرفَة الغَيْبِ**: سواء كانَ في الدُّنْيا أم في الآخِـرَة، في الماضي السحيق أَوْ المستقبل، فالعِلْم مثلا يعجز عَنْ معْرفَة المستقبل سواء كانَ بعيداً لشهور وسنوات، أم كانَ قريباً لساعة ولحظات.

2 – **قضـية الخُلود** في الأَرْضِ التي يطمح إِلَيْها الإِنْسـان ويسـعى جاهدا للبقاء ما أمكنه، ويبذل طاقاته لحصته فيْها وإبعاد المَـوْت عنه، فهل يُمْكِنُ للعلم أَنْ يزيد في عمر إنسـان لحظة واحدة أَوْ يَوْماً واحِداً؟.

إِنَّ التَّقَدُّمِ العِلْميّ السريع في الطب والجراحة والأدوية يَسْتَطيعُ أَنْ يوفر لَهُ حياة أفضل، وسعادة أكثر، وراحة أرحب. و لَكِنَّها تعجز عَنْ أن تمنحه لحظة زيادة في عمره، مصـداقا لقوله تَعالى: ﴿فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمونَ﴾ [الأعراف: 34]، ولقوله عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «إِنَّ رَوْحَ القُدُسِ نَفَثَ في روعيَ أَنَّ نَفْساً لَنْ تَموتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَها...»[17].

3 – كَما يعجز العِلْم بشكل ملموس في **القضـايا النَّفْسية** التي تشكل شطرا بارزا في حَياةِ الإِنْسان في الدُّنْيا، فلا يُمْكِنُ للعلم أَنْ يمنع عَنْ الإِنْســان القلق، ولا يَسْــتَطيعُ أَنْ ينزع منه الخوف إِذا تعرض لأسبابه.

4 – كَما أن العِلْم **عاجز عما يخرج عَنْ نطاقه** ولا يخضـع للحس والتَّجْرِبَة والمشـاهدة وأوضـحُ مثال على ذَلِكَ روح الإِنْسان وعقله، فَما هيَ الرُّوح، وَما هوَ العَقْلُ؟؟.

5 – إِنَّ العِلْم لا يتَناوَل **القضـايا الإِنْسـانيَّة** كالأخلاق التي تقوم عليها الشُّعوبُ والأمم والحضـارات، لذلك فإِنَّ الأخلاق تعتمد على الدّيْنِ الذي يدعو إلى الأخلاق الفاضــلة، ويحدد مدلولها ومفهومها

---

[17] هذا طرف من حديث رواه أبو نعيم حلية الأولياء (10/ 27) عَنْ أبي أمامة.

ومداها، ثُمَّ يكسبها صفة القدسية الدّيْنيَّةِ، وهذا كفيل يحفظها وبقائها واستمرارها. يَقولُ المربي الفرنسي بياجيه: (الأَخلاقُ بلا ديْنٍ عَبَثٌ).

ثانياً – مجال العلم وعجزه عن تغيير النظام الكوني:

إِنَّ التَّقَدُّمَ العِلْميّ – قديماً وحديثا ومستقبلا – محصور في تفْسيْرِ ظواهر الكَوْنِ المرئية المحسوسة، دونَ أَنْ يَسْـتَطيعَ العِلْم التأثير في حقيقتها وكيانها، وَهوَ عاجز عَنْ التأثير في جَوْهَرِها، أَوْ التَّغْيير في تركيبها، أَوْ التعديل في نِظامِها، فمثلاً العِلْم الذي اكتشف تركيب الهواء والضغط الجوي ووصل إلى القمر لم يستطع – ولن يَسْتَطيعَ – أَنْ يغير في تركيب الهواء، أَوْ يزيل أثر الضغط الجوي، أَوْ يبدل في نِظامِ القمر.

ثالثاً: إِنَّ المسائل الكَوْنية التي تَخْضَعُ لسلطان العِلْم، وتدخل في نطاقه ودائرته، وتتم عليها التجارب والمشاهدات، ويختص بها العُلَماءُ – إِنَّ هَذِهِ المسائل الكَوْنية العِلْميّة **لم يقطع العِلْم إِلّا بجزء يسير من حقائقها**، وَلَمْ يجزم إِلّا أحيانا بالنتائج التي توصل إليها، وإِنَّ أكثر المسائل المطروحة على نطاق البَحْثِ العِلْميّ لا تزال في حيز الاحتمالات والتكهنات، وفي مَجالِ الفرضيات، وتتعرض لاحتمال الخطأ والصواب، وأن الأُمورَ اليَقيْنية القطعية التي وصل إِلَيْها العِلْم لا تزال محدودة، فَما بالك في الـمُغيَّباتِ وَما وَراءَ الطَّبيعَة ؟ فإِنَّهُ لن يَصِلَ إِلى نَتيْجَةٍ فيْها قطعا ؟.

رابعاً – إِنَّ العِلْم سلاح ذو حدين:

يمكن أن يُستَعْمَل العلم للخير، كَما يُستَعْمَلُ للشر، وإِنَّ التَّقَدُّمَ العِلْميّ الذي يهيئ للإِنْسانِ والبَشَريَّة حياة أرغد، وسعادة أطيب، ورقيا واسعا، فإِنَّهُ يهدد الإِنْسان والبَشَريَّة بالخراب والدمار والإبادة. فمثلاً:

إِنَّ اختراع الذرة يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ من أجل السَّلامِ العالمي والتَّقَدُّمِ الحضاري، كَما يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ للحرب وإبادة الشُّعوبِ وتشويه معالم الإِنْسان والكَوْنِ.

أَقوالُ العُلَماءِ في الدِّيْنِ

نختم هذا الفَصْل بأقوال أساطين العِلْم في عَصْرِنا الحاضِر، ونكتفي بذِكْرِ بَعْضِها في هَذا الموضوع[18]:

1 – يَقولُ سالمون ريناك: (ليس أمام الدّياناتِ مستقبلٌ غير مُحدَّد فحَسْب بَلْ لنا أن نكون على يقين من أَنَّهُ سيبقى كُلّ شَيْءٍ منها أبدا، ذَلِكَ لأَنَّهُ سيبقى في الكَوْنِ دائماً أَسْرارٌ ومجاهيل، ولأَنَّ العِلْم لن يُحَقِّق أَبداً مهمته على وجه الكمال).

2 – ويَقولُ الدكتور ماكس نوردوه عَنْ الشُّعور الدّيْنيّ : (هذا الإحساس أصيل يجده الإنْسان غير المتمدن، كَما يجده أعلى النّاس تفكيراً، وأَعظمهم حسّاً، وستبقى الدّياناتُ ما بقيت الإنْسانيَّة، وستتطور بتَطَوُّرِها، وستتجاوب دائماً مَعَ درجة الثَّقافَة العَقْليَّةِ التي تبلغها الجماعة).

3 – يَقولُ هنري بيرغسون: (لقد وجدت وتوْجَدُ جَماعاتٌ إنسانيَّة من غير علوم وفنون وفَلْسَفات، ولَكِنَّهُ لم توْجَدْ قط جماعة بغير ديانَةٍ).

ويعقب الدكتور دراز رحمه الله على هَذِهِ الكلمات فيقول: (ولنقف قليلا عِنْدَ هَذِهِ الكلمة، لأَنَّهُ قد يبدو مِنَ المفارقات العجيبة، أَنْ يَكونَ ازدياد العِلْم ونمو المعْرفَة سَبَبا في نمو غَرِيْزَة التَّدَيُّنِ، المبنية على طلب الغَيْبِ المجهول، ولكننا لو تأملنا لتحقَّقنا صحة هَذِهِ المفارقة ولعرفنا أن تَقَدُّمَنا الحثيث في العُلومِ يقربنا حقيقة من الاعتراف بجهالتنا، والاقرار بأن مثل ما نعلمه من الكَوْنِ في جانِبِ ما نجهله منه كمثل قطرة واحدة من محيط خضم عميق، ذَلِكَ أن كُلَّ باب جَديْدٍ يفتحه العِلْم من دلائل عظمة الكَوْنِ وامتداده ينفتح معه أفق أوسع للسؤال عما يتصل بهذا الميدان الجَديْدِ مِنَ المشاكل الكَثيْرَة الغامضة)[19].

---

[18] انظر هَذِهِ الأقوال ومزيداً مثلها في كتاب الدّيْنِ: 84–89.

[19] الدّيْنُ، له: 89 – 90.

خاتمـــةٌ

في بيان حـاجـة النـاس للـديـن

وَبَعْـدَ هـذا العـرض السـابق نطـرح علـى أنفسـنا أَوْ نطـرح علـى غـيرنا، أَوْ يطـرح الآخـرون علينـا هذا السُّؤال: هل نَحْنُ بِحاجَةٍ إلى الدّيْنِ؟ وهل النّاس اليَوْم بحاجَةٍ إلى الدّيْنِ؟

يظْهَـرُ للعاقـل الرَّشـيْد، وللباحـث المتجـرّد عَـنْ الأَهْـواءِ والأحقـاد، ولعشـاق الحَـقِّ والحَقيْقـة، يظْهَـرُ لَهُـمْ أن وَظيْفَـةَ الـدّيْنِ في الحَيـاةِ مهمـة وخطـيرة وضـرورية، كَمـا يظْهَـرُ لَهُـمْ بَواعِثـه الفِطْريَّـة في الـنَّفْسِ الإِنْسـانيَّة، وأثـره البـارز في حَيـاةِ الفَـرْدِ والمـُجْتَمَع، ويتبـين للقـارئ أن العِلْـم لا يسُـدّ مسـده، ولا يقـوم مقامـه، وأن الإِنْسـان **لا يـؤدي غرضـه في هَـذِهِ الحَيـاةِ**، ولا يسـتكمل إنسـانيته ولا يلـبي دوافعـه وغرائـزه وميولـه، ولا تَتَحَقَّـقُ لَـهُ السَّـعادَةُ، ولا يـنعم بالتَّـوازنِ والاسـتقرار **إلّا بالتَّـدَيُّنِ**، وأَنَّ الـدّيْنَ جـزء مـن حيـاة الفَـرْد والمـُجْتَمَع، وأَنَّهُـمْ بحاجَـةٍ إِلَيْـهِ كالطعـام والشـراب والغـذاء، فمـن تخلـى عنـه، أَوْ أعـرض عَـنْ الأخـذ بـه فـلا يكـون إِنْسـاناً سـوياً، وأقـل مـا يقـال فيـه أَنَّـهُ شـاذ عَـنْ الفِطْـرَةِ الإِنْسـانيَّة والوجـودِ البَشَـري، ومثلـه كمثـل مـن يحـرم نفسـه الفواكـه أَوْ الخضـراوات أَوْ اللحـوم أَوْ الطيِّبـاتِ، أَوْ يمتنـع بصـلف أَوْ إصـرار عَـنْ التَّمتُّـعِ بأشـعة الشـمس وضـوء النَّهـار لعاهـة في عقلـه أَوْ لعقـدة في نفسـه، فيكـون شـاذ الفِكْـرِ، منحـرف السـلوك، وبالتـالي فَهـوَ هزيـل البنيـة، وضـعيف الجسم، ينتظر حتفه رغم أنفه، ويلقى سوْءَ خاتمته، والعياذ بالله.

شروط تحقيق الدين لوظيفته:

وَلَكِن الدّيْنَ لا يُحَقِّق وظيفته إلّا إذا تَوَفَّرَتْ لَهُ ثَلاثَةُ شُروطٍ وَهيَ:

1 - **العِلْم بالدّيْنِ بشـكلٍ كافٍ وافٍ ومفصَّـلٍ**: فقد وردَت آياتٌ كَثيْـــرَةٌ تدعو إلى العِلْم بالدين، وتؤكد وجوب تعلمه وتعليمه[20]، منها قوله تَعالى: ﴿وَما كانَ المـُــؤْمنونَ ليَنْفِروا كافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ ليَتَفَقَّهوا في الدّينِ وَليُنْذِروا قَوْمَهُمْ إذا رَجَعوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرونَ﴾ [التوبة: 122]، ويَقولُ تَعالى: ﴿وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَروا وَكانوا بِآياتِنا يوقِنونَ﴾ [السجدة: 24].

2 - **الإيْمان بكل ما جاء به الدّيْنُ الصَّـحيْح**، فلا يؤخذ بَعْضَـهُ ويهمل بعضـه الآخر، ودون أَنْ يؤخذ الدّيْنُ للمتاجرة بِهِ، فيُطبق بَعْضُـهُ، ويَتناسـى النّاس بَعْضَـهُ الآخر، يَقولُ تَعالى: ﴿وَآمِنوا بِما أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ وَلا تَكونوا أَوَّلَ كافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَروا بِآياتي ثَمَناً قَليلاً وَإِيّايَ فاتَّقونِ﴾ [البقرة: 41].

---

[20] انظر باب العِلْم وَما جاء من الأحاديث عَنْ وجوب العِلْم والتعليم في كتاب الترغيب والترهيب: 92/1 وَما بعدها.

ويَقولُ تَعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنونَ بِبَعْضِ الكِتابِ وَتَكْفُرونَ بِبَعْضٍ فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلّا خِزْيٌ في الحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ القيامَةِ يُرَدّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذابِ وَما اللهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلونَ﴾ [البقرة: 85].

فالإِسْلام كل لا يتجزأ، أَمّا أَنْ يؤخذ كله، وإِمّا أَنْ يُتْرَكَ كله، بِدونِ ترقيع أَوْ تمزيق.

3 – **الالتزام بأَحْكامِ الدّيْنِ وتطبيقه فعلاً وعملاً**: يقول الله تَعالى منددا بمن يعرف حكم الله ولا يطبقه، ويدعو النّاس إِلى ديْنِ الله وشرعه، ويعفي نفسه من ذلك، يَقولُ تَعالى: ﴿أَتَأْمُرونَ النّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلونَ الكِتابَ أَفَلا تَعْقِلونَ﴾ [البقرة: 44]، ويَقولُ تَعالى: ﴿ياأَيُّها الَّذينَ آمَنوا لِمَ تَقولونَ ما لا تَفْعَلونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقولوا ما لا تَفْعَلونَ﴾ [الصف: 2– 3].

وهَذِهِ الشروط بسيطة ومنطقية وبدهيَّةٌ، ولا تحتاج إِلى عناية كَبيْرة أَوْ بحث مستفيض، ولَكِنَّها ذات أثر خطير وبارز.

وإِنَّ كُلَّ سوْءٍ أَوْ ضرر نجم عَنِ الدّيْنِ أَوْ باسمِ الدّيْنِ كانَ بسبب فقدان أَحَدِ هَذِهِ الشروط الثلاثة السابقة.

نتائج هامَّة تؤكد حاجَة النّاس إِلى الدّيْنِ:

أخيراً نستطيع أن نقدم خلاصة البَحْثِ، ونبين نتائجه التي تؤكد حاجَة النّاس إِلى الدّيْنِ، فنقول:

1 – إِنَّ الدّيْنَ الذي نقصده ونعنيه ونسعى وراءَهُ هوَ الدين الذي **ينظم حياة الإنسان وفق التوجيهات** الربانية لإعمار الأرض، وتحقيق الغاية من وجوده عليها، وليس الدين بمفهومه الكهنوتي الذي ركب مطيته المتكبرون لاستعمار الشعوب وإذلالها.

2 – نَحْنُ بِحاجَةٍ إِلى الدّيْنِ **لأَنَّهُ جزء من فطرة الإِنْسان** وطبيعته، ولا يُمْكِنُ لإنسان عاقل أَنْ يستغني عَنْ جزء من فطرته وكيانه، وإِلا كانَ شاذّاً ومنحرفاً. قال تَعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدّينِ حَنيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْديلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمونَ﴾ [الروم: 30].

3 – نَحْنُ بِحاجَةٍ إِلى الدّيْنِ، لأَنَّهُ الوسيلة الوَحيْدَة، التي نأمن مخاطرها، ونضمن نتائجها **لتَحْقيْقِ الحَياةِ الإِنْسانيَّة الكريمة**، وتأمين الحَياةِ السعيدة في الدُّنْيا والآخِرَة.

4 – نَحْنُ بِحاجَةٍ إِلى الدّيْنِ **لتأمين الاستقرار النَّفْسي والرّوحي** في حَياةِ الأفراد.

5 – نَحْنُ بِحاجَةٍ إِلى الدّيْنِ **للحصول إِلى التَّفَتُّحِ العَقْلي، والتَّقَدُّمِ العِلْميّ**، لأَنَّ الدّيْنَ في جَوْهَرِهِ دعوة إِلى التَّقَدُّمِ والمَدَنيَّةِ والحَضارَةِ والرقي في مختلف المستويات.

6 – نَحْنُ بِحاجَةٍ إلى الدّيْنِ **لتَحْقيْقِ التَّوازن في الإنْسان** بيْـــنَ روحه وجسده وعقله، ولإقامَةِ التَّوازن بيْنَ غرائزه المختلفة، ولتوجيه ميوله وعواطفه الوجهة الصَّحيْحَة التي تحفظ الفَرْد وتخدم المُجْتَمَع والأُمَّةَ.

7 – نَحْنُ بِحاجَةٍ إلى الدّيْنِ **لإقامَةِ التَّوازنِ بيْـنَ الفَرْد والمُـجْتَمَع**، ولأنه يُقيْمُ العَلاقَة السديدة بيْـنَ المواطن والدَّوْلَةِ، فيعرف كل مِنْهُما حقه فيقف عنده، فلا يخرج الفَرْد على الدَّوْلَةِ والمُـــــجْتَمَع بالعَبَثِ والفَســاد والإجرام والتحكم بأرزاق الشَّــعْب والتلاعب بمقدرات الأُمَّةِ وقوت أفرادها، ولا تتطاول الدَّوْلَةُ على الفَرْد فتسلبه حقوقه الطبيعية والإنْسانيَّة، وتقيم الظلم والطغيان والتسلط والديكتاتورية، لتجْعَلَ من الإنْسان آلة صماء أَوْ حيوان أبكم لا يهتم إلّا بطعامه وشرابه وشَهَواته، أَوْ عضواً عاطلاً أَوْ متكاسلاً أَوْ متواكلاً أَوْ سلبياً.

8 – نَحْنُ بِحاجَةٍ إلى الدّيْنِ **لإنْهاءِ الرِّدَّةِ** التي ابْتُليَ بها العالم الحَديْثُ باسمِ العِلْمِ، التي روَّجَ لها الصَّهاينَةُ منْذُ قَرْنَينِ تَقْريباً.

9 – نَحْنُ بِحاجَةٍ إلى الدّيْنِ **الذي ينشـئ ويربي الإنْسـان الصّـالِح**، ويُحَقِّق للإنْسـانيَّةِ مثلها وقيمها وأخوتها، بِدونِ تمييز عنصري، ولا تفاوت طبقي، ولا استعمار دولي، ولا اضطهاد فردي أَوْ طائفي، ولا استِغْلال مادي.

10 – نَحْنُ بِحاجَةٍ إلى الدّيْنِ **لتنمية الوازِعِ الدّيْنيّ** عِنْدَ الطبيب والمهندس والمحامي والمُـــــعلّم والمدير والمدرس والموظف والعامل ورب العَمَلِ والتاجر والطالب والأب والابن والأخ والجار ليَشْـــعُرَ كل مِنْهُم بالآخر، وليُؤَدّي عمله الذي خلق من أجله مَعَ الحفاظ على القيم والأخلاق والمَبادِئ.

11 – نَحْنُ بِحاجَةٍ إلى الدّيْنِ **لإقامة المُـــــجْتَمَع الفاضـل**، الذي يحقِّق للأُمَّةِ العزَّة والكرامة في الحياة الدنيا، والفوز برضوان الله يوم القيامة.

نَسْـــأَل الله العلي القدير أَنْ يعلمنا ما ينفعنا، وأَنْ ينفعنا بِما علمنا، وأَنْ يلهمنا رشـــدنا، وأَنْ يهيئ لنا من أمرنا رشداً، وأَنْ يسَدِّدَ خطانا وأَنْ يهدينا سبلنا، وأَنْ يردنا إل ديننا رداً جميلاً، وأَنْ يهدي قومنا فإنهم لا يعلمون، وأَنْ يفتح بيننا وبين قومنا بالحق، إِنَّهُ سميع مجيب، وبالإجابَةِ جدير.

الرسالات السماوية

* مقدمة عن الكتب السماوية

* مدخل إلى اليهودية

* اليهــوديــة:

وفيهــا:

- استكمال العرض التاريخي
- أسماء اليهود
- كتب اليهود المقدسة
- أشهر الفرق اليهودية
- عقائد اليهود الأساسية

مقدمة عن الكتب السماوية

*** مكانة كتب أهل الكتاب في القرآن الكريم:**

بيَّنا في المبحث السابق أن الدين عند الله الإسلام، ونضيف هنا أن ما جاءت به الرسل يرتبط بعضه ببعض، فما جاء به النبي محمد ﷺ **يصدق** ما جاء قبله في التوراة والإنجيل، وهي الكتب التي أنزلت على موسى وعيسى عليهما السلام، قال تعالى: {**نزَّلَ عليكَ الكتابَ بالحقِّ مصدِّقاً لما بين يديهِ وأنزلَ التوراةَ والإنجيلَ* من قبل**} [آل عمران: 3_ 4]. وقال تعالى: {**وأنزلنا إليكَ الكتابَ بالحقِ مصدِّقاً لما بين يديهِ من الكتابِ ومُهيمناً عليه**} [المائدة: 48].

كما خاطب القرآن المؤمنين ودعاهم إلى الإيمان والتصديق بما أنزل الله على أهل الكتاب ممن عاصروهم، قال تعالى: {**ولا تجادلوا أهلَ الكتابِ إلا بالتي هي أحسنُ إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنَّا بالذي أُنزلَ إلينا وأُنزلَ إليكم وإلهُنا وإلهُكم واحدٌ ونحنُ له مسلمون**} [العنكبوت: 46].

كما دعا القرآن إلى الإيمان بكل ما أنزل على الرسل والأنبياء من قبل، قال تعالى: {**قولوا آمنَّا باللهِ وما أُنزلَ إلينا وما أُنزلَ إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ وما أُوتيَ موسى وعيسى وما أُوتيَ النبيون من ربهم لا نفرقُ بين أحدٍ منهم ونحنُ له مسلمون**} [البقرة: 136].

*** موقف المسلمين من التوراة والإنجيل:**

هذا الإيمان الإجمالي بكتب أهل الكتاب، لم يمنع القرآن الكريم أن يوضح لنا ما أصاب هذه الكتب من التحريف والتغيير على يد أتباع الديانتين، فقال مثلاً في حديثه عن اليهود: {**يُحرِّفونَ الكَلِمَ عن مواضعهِ ونسوا حظاً مما ذُكِّروا به**} [المائدة: 13]. وقال تعالى فيهما: {**يا أهلَ الكتابِ لِمَ تَلبِسون الحقَ بالباطلِ وتكتمونَ الحقَ وأنتم تعلمون**} [آل عمران: 71].

لكن التحريف والكتم لم يمنع بقاء الحق في بعض ما أُنزل على أهل الكتاب زمن بعثة خاتم الأنبياء، ويدل على ذلك خطاب القرآن لهم بإخراج ما لديهم من بقية وحي، قال تعالى: {**قلْ يا أهلَ الكتابِ لستمْ على شيءٍ حتى تُقيموا التوراةَ والإنجيلَ وما أُنزلَ إليكم من ربكم**} [المائدة: 68]. وقال في موضع سابق: {**وكيفَ يُحكِّمونكَ وعندَهُمُ التوراةُ فيها حُكمُ اللهِ ثم يتولَّونَ منْ بعدِ ذلكَ وما أولئكَ بالمؤمنين**} [المائدة: 43]. وقال كذلك: {**كلُّ الطعامِ كانَ حِلّاً لبني إسرائيلَ إلا ما حرَّمَ إسرائيلُ على نفسهِ منْ قبلِ أن تُنزَّلَ التوراةُ قلْ فأتوا بالتوراةِ فاتْلوها إن كنتم صادقين**} [آل عمران: 93].

ولوجود بعض الحق لديهم فقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: **(ما حدَّثكم أهلُ الكتابِ فلا تُصدِّقوهم ولا تُكذِّبوهم، وقولوا آمنا بالله ورسله، فإن كان باطلاً لم تُصدقوه، وإن كان حقاً لم تُكذبوه)**[21].

بل **جعل القرآن الكريم من أهداف الرسالة الخاتمة تصحيح ما حرفه أهل الكتاب** ببيان ما كان من حقٍ بصور شتى، كقوله تعالى:

{إنَّ هذا القرآنَ يقصُّ على بني إسرائيلَ أكثرَ الذي هم فيه يختلفون} [النمل: 76]. و**{يا أهلَ الكتابِ قد جاءكم رسولُنا يبينُ لكمْ كثيراً مما كنتم تُخفونَ منَ الكتابِ ويعفو عن كثيرٍ قدْ جاءكم من اللهِ نورٌ وكتابٌ مبينٌ، يهدي به اللهُ من اتَّبعَ رِضوانَهُ سُبُلَ السلامِ ويُخرجُهُم من الظلماتِ إلى النورِ بإذنهِ ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم}** [المائدة: 15- 16].

وبحسب التوضيح السابق فستكون دراستنا للرسالات السماوية الموجودة حالياً اليهودية والمسيحية دراسة تاريخية نلملم أحداثها من الكتب السماوية عند أصحابها بالشرط السابق، ثم نذكر الكتب المقدسة لديهم، وأهم فرقهم، وعقائدهم.

[21] أبو داود، أول كتاب العلم، باب: رواية حديث أهل الكتاب، رقم 3645.

مدخل إلى اليهودية

اليهودية والمسيحية والإسلام؛ هذه الرسالات السماوية الثلاث، وغيرها بطبيعة الحال، تعود جميعها إلى إبراهيم عليه السلام نسباً[22]. وبيان ذلك سنوضحه مع هذا المدخل لرسالة موسى عليه السلام، لقدمه على أخويه عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

*** ذرية إبراهيم عليه السلام:**

اليهودية هي الاسم الذي اشتهرت به الرسالة السماوية التي أُنزلت قبل أكثر من ألف وثلاثمائة عام من الميلاد على نبي الله موسى عليه السلام أثناء وجود بني إسرائيل أو العبرانيين في مصر. ويبدأ تاريخ بني إسرائيل بأبيهم يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

وسنوضح هذا التاريخ بداية مع إبراهيم عليه السلام:

يصور لنا القرآن الكريم طبيعة الحياة الاجتماعية والدينية التي كان عليها قوم إبراهيم عليه السلام حيث انقسم الناس في عهده إلى ثلاث فئات: فئة تعبد الأصنام والتماثيل الخشبية والحجرية، وفئة تعبد الكواكب والنجوم والشمس والقمر، وفئة تعبد الملوك والحكام.

وفي وسط هذه البيئة الشركية أخذ إبراهيم عليه السلام يدعو قومه، وعلى وجه الخصوص والده. لكنَّ قومه استمروا في طغيانهم وعنادهم بعد أن قدم لهم الأدلة والبراهين على وحدانية الله، قال تعالى: {**قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ**} [الأنبياء: 68- 70].

وبعد أن أنجاه الله من النار آمن له لوط، قال تعالى: {**فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**} [العنكبوت: 26]. فنجاهما الله عز وجل إلى أرض كنعان المباركة قال تعالى: {**ونجَّيناه ولوطاً إلى الأرضِ التي باركنا فيها للعالمين**} [الأنبياء: 71].

---

[22] بيَّنَّا سابقاً أن دين الأنبياء جميعهم هو الإسلام، والتسميات الأخرى (كاليهودية والمسيحية) متأخرة عن ظهور الأنبياء أنفسهم موسى وعيسى عليهما السلام. وذكر القرآن الكريم تأكيداً لذلك في خطابه لأهل الكتاب (اليهود والنصارى)، وللمسلمين الذين تخاطبهم الآيات بطبيعة الحال، قوله: {**ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين**} [آل عمران: 67]؛ يريد تبرئة أنبيائه موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام مما خالفهم فيه الأتباع، فهم حتماً على منهج إبراهيم عليه السلام في الحنيفية السمحة، ولم يدعوا إلى التحريف أو الإشراك.

وتذكر **التوراة** هجرة إبراهيم[23] ولوط عليهما السلام من كوثى، وهي من سواد الكوفة إلى حرّان ثم إلى أرض كنعان، كما ذهب مرات إلى مصر. وفي كنعان كان جليلاً مهاباً، أما في مصر فأخفى حاله عن ملكها خشية بطشه. ولعله هاجر بسبب البحث عن أسباب العيش الكريم، ولا تشير التوراة بوضوح لمهمته كنبي مرسل. وكان جل مقامه في حبرون في فلسطين.

وكانت سارة زوجة إبراهيم عقيماً لا تلد، وكانت تعلم رغبة إبراهيم وتشوقه لذرية طيبة، فوهبت له هاجر ليتزوجها، لعل الله أن يرزقه منها ذرية صالحة، فتزوج إبراهيم هاجر فأنجبت له إسماعيل فسعد به إبراهيم سعادة كبيرة لأنه جاء له بعد شوق شديد وانتظار طويل.

وأمر الله عز وجل إبراهيم أن يأخذ زوجته هاجر وولدها إسماعيل ويهاجر بهما إلى مكة، فأخذهما إبراهيم إلى هناك، وتوجه إلى الله داعياً، قال تعالى: **{رَّبَّنَا إِنِّيَ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}** [إبراهيم:37].

ثم تركهما إبراهيم، وعاد إلى زوجته سارة في حبرون، وذات مرة جاءت إليه ملائكة الله في صورة بشر، فقام إبراهيم سريعاً فذبح لهم عجلاً سميناً، وشواه ثم وضعه أمامهم ليأكلوا فوجدهم لا يأكلون، لأن الملائكة لا تأكل ولا تشرب، وهنا أخبرت الملائكة إبراهيم بأنهم ليسوا بشراً، وإنما هم ملائكة جاءوا ليوقعوا العذاب على قرية سدوم وعمورة، لأنهم لم يتبعوا نبيهم لوطاً عليه السلام..

وبشرت الملائكة إبراهيم عليه السلام بولده إسحاق عليه السلام من سارة، وكانت عجوزاً، فتعجبت حينما سمعت الخبر، فهي امرأة عجوز عقيم وزوجها رجل شيخ كبير، فأخبرتها الملائكة أن هذا هو أمر الله، فقالت الملائكة: **{قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ}** [هود:73].

وذات مرة رأى إبراهيم عليه السلام أنه يذبح ابنه في المنام، فأخبر ابنه إسماعيل[24] بذلك، وكان هذا امتحان من الله لإبراهيم وإسماعيل، فاستجاب إسماعيل لرؤيا أبيه طاعة لله، واستعد كل منهما لتنفيذ أمر الله، ووضع إبراهيم ابنه إسماعيل على وجهه، وأمسك بالسكين ليذبحه، فكان الفرج من الله، فقد نزل جبريل عليه السلام بكبش فداء لإسماعيل، وصدق الله إذ يقول: **{وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}** [الصافات:107].

---

[23] وهاجر معه أبوه وزوجته سارة حسب التوراة [سفر التكوين 11: 31] وهي لا تشير هنا إلى كفر أبيه، ولا دعوة إبراهيم قومه للإيمان. بينما نجد في [يشوع 24: 2- 3] أن إبراهيم ترك أباه لعبادته لآلهة أخرى، وهاجر بدونه. (وهذا مثال يدل على تحريف التوراة وتعارضها، والصواب ما أثبته القرآن).

[24] وتجعل التوراة الذبيح هو إسحاق عليه السلام.

وكان نبي الله إبراهيم يسافر إلى مكة من حين لآخر ليطمئن على هاجر وابنها إسماعيل، وفي إحدى الزيارات طلب إبراهيم من ابنه أن يساعده في رفع قواعد البيت الحرام كما أمره ربه[25]، فوافق إسماعيل، وأخذا ينقلان الحجارة اللازمة لذلك، حتى انتهيا من البناء، وعندها أخذا يدعوان ربهما أن يتقبل منهما فقالا: {**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**} [البقرة: 127-128].

فاستجاب الله لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وبارك في الكعبة، وعمرت بالمؤمنين، ووهب الله تعالى له ابناً آخر من زوجته الأولى سارة التي سبق وبشرها بالولد، والذي أسماه إسحاق، وآتاه النبوة كذلك، قال تعالى: {**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**} [العنكبوت:27].

---

[25] ولا تذكر التوراة الحالية هذا الأمر، بل تجعل إبراهيم- من بداية الأمر- يترك هاجر وابنها يذهبان لفاران (مكة) لوحدهما .

قال ياقوت: أن كوثى العراق كوثيان: أحدهما كوثى الطريق والآخر كوثى رَبّى وبها مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام. وبها مولده. وهما من أرض بابل. وبها طُرح إبراهيم في النار ... .
معجم البلدان ج ٤، ص ٤٨٧ .

قال تعالى: (مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) آل عمران ٦٧

يقال: مكة اسم المدينة وبكة اسم البيت. وقال آخرون: مكة هي بكة والميم بدل من الباء كما قالوا: ما هذا بضربة لازب ولازم. وقال أبو القاسم: هذا الذي ذكره أبو بكر في مكة وفيها أقوال أخر نذكرها لك. قال الشرقي ابن القطامي: إنما سميت مكة لأن العرب في الجاهلية كانت تقول لا يتم خجّنا حتى تأتي مكان الكعبة فتمكّ فيه أي تصفّر. سفير المكاء حول الكعبة. وكانوا يصفرون ويصفقون بأيديهم إذا طافوا بها. والمكاء. بتشديد الكاف: طائر يسأوي الرماص. قال أعرابيّ ورد الحضر فرأى مكّاء يصيح فحنّ إلى بلاده فقال:

ألا أيها المكّاء ما لك ههنا
ألاءَ ولا شيحٌ فأين تبيضُ
فاتسعَ إلى أرض المكاكي واجتنب
قرى الشام لا تصبح وأنت مريضُ

والمكّاء. بتخفيف الكاف والمد: الصفير. فكأنهم كانوا يحكون صوت المكّاء. ولو كان الصفير هو الغرض لم يكن مخففاً. وقال قوم: سميت مكة لأنها بين جبلين مرتفعين عليها وهي في هبطة بمنزلة المكوك. والمكوك عربيّ أو معرب قد تكلمت به العرب وجاء في أشعار الفصحاء: قال الأعشى:

والمكاكي والضحاك من الفحّة والضابرات تحت الرحال

قال وأما قولهم: إنما سميت مكة لازدحام الناس فيها من قولهم: قد امتكّ الفصيل ما في ضرع أمه إذا مصه مصاً شديداً فغلط في التأويل لا يشبه مص الفصيل الناقة بازدحام الناس وإنما هما قولان: يقال سميت مكة لازدحام الناس فيها. ويقال أيضاً: سميت مكة لأنها عبدت الناس فيها فيأتونها من جميع الأطراف من قولهم: أمتكّ الفصيل أخلاف الناقة إذ جذب جميع ما فيها جذباً شديداً فلم يبق فيها شيئاً. وهذا قول أهل اللغة. وقال آخرون، سميت مكة لأنها لا يفجر بها أحد إلا بكّت عنقه فكان يصيح وقد التوت عنقه. وقال الشرقي: روي أن بكة اسم القرية ومكة مفسّرة بذي طوى لا يراه أحد ممن مر من أهل الشام والعراق واليمن والبصرة وإنما هي أبيار في أسفل ثنية ذي طوى. وقال آخرون: بكة موضع البيت وما حول البيت مكة . معجم البلدان ج ٤، ص ١٨١ - ١٨٢ .

[هجرة إبراهيم عليه السلام وتنقلاته المتعددة]

*** يعقوب عليه السلام ورحلته إلى مصر:**

ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام في حبرون (مدينة الخليل) من فلسطين، وسمي فيما بعد بإسرائيل والذي يعني عبد الله، أو صفوة الله حيث آتاه الله النبوة كأبيه وجده، وولد له اثنا عشر ولداً، جعلهم الله فيما بعد أسباطاً أمماً.

ورحل يعقوب عليه السلام مع أبنائه الأحد عشر إلى مصر للقاء ابنه يوسف عليه السلام الذي بُعث في مصر، ونال مكانة رفيعة فيها. وما سبق وجرى ليوسف عليه السلام مع إخوته، هو مما قصّه القرآن في سورة كاملة سميت باسمه. وتتشابه الخطوط العريضة في قصته بين التوراة والقرآن.

وترى الكثير من المصادر أن وجود بني إسرائيل في مصر كان أثناء وجود الهكسوس[26] فيها، فلما أُخرج الهكسوس من مصر، وبعد وفاة يوسف من بعد أبيه يعقوب عليهما السلام؛ عاد الفراعنة إلى الحكم، وأَذل المصريون من بقي من بني إسرائيل وساموهم أصناف العذاب، وازداد هذا العنت والظلم أكثر في عهد رمسيس الثاني الذي تتفق أكثر المصادر أنه فرعون الاضطهاد الذي أمر بقتل الذكور واستحياء النساء، وحمل بني إسرائيل على الأعمال الشديدة حتى مات كثير منهم، فكانت الظروف مواتية لبعثة نبي جديد في بني إسرائيل، فبُعث موسى وأخوه هارون عليهما السلام فيهم.

---

[26] الهكسوس وهم قبائل آسيوية دخلوا مصر من الجهة الشمالية الشرقية، في عهد الأسرة الثالثة عشرة، واستولوا على حكم البلاد مدة من الزمن، وذلك في عصر الضعف بين نهاية الدولة الوسطى (1786ق.م) وبداية الدولة الحديثة (1551ق.م)، وتحديداً بين (1730 وحتى 1580ق. م).

اليهودية

تطلق اليهودية ويُراد بها رسالة موسى ومن تبعه من أنبياء بني إسرائيل حتى بعثة عيسى عليهم السلام، ولهذا **سنتابع في هذا السرد التاريخي** أهم الأحداث التي جرت مع أشهر الأنبياء في هذه المرحلة.

*** بعثة موسى عليه السلام والخروج من مصر:**

شاء الله وسط تلك الظروف العصيبة على بني إسرائيل في مصر أن يولد موسى عليه السلام والتي قامت والدته بإخفاء أمر ولادته لتحميه من بطش فرعون، قال تعالى: {**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**} [القصص: 7]. فالتقطه آل فرعون، ورقّ له قلب زوجة فرعون، وأصرت على فرعون بعدم قتله حتى استجاب لها، بل إن فرعون سمح بعد إلحاح من زوجته بالبحث عن مرضعة له حتى عُثر على أم موسى لتقوم بإرضاعه، قال تعالى: {**فردَدْناه إلى أمهِ كي تقرَّ عينُها ولا تحزنَ ولتعلمَ أنَّ وعدَ اللهِ حقٌ ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون**} [القصص: 13].

نشأ موسى في قصر فرعون ولكنه كان كثير التردد على قومه، ولما كبر وآتاه الله حكماً وعلماً حدث مرة أن وجد موسى مصرياً يُسخِّر رجلاً من بني إسرائيل ويرغمه على أداء عمل له، فاستعان الرجل بموسى فأغاثه موسى وضرب المصري من دون قصد القتل، فكانت الضربة القاضية على حياته. وفي اليوم التالي وجد موسى عليه السلام نفس الإسرائيلي يشتبك مع مصري آخر ويستنصره مرة ثانية فعنفه موسى على ذلك ووبخه من كثرة شره، فحسب الإسرائيلي أن موسى يريد قتله فبادره بالقول أتريد قتلي كما قتلت الفرعوني بالأمس، وما كاد الفرعوني يسمع هذا الخبر حتى أسرع إلى قومه يخبرهم بالحقيقة، فأرسل فرعون في طلب موسى يريد الاقتصاص منه، ولكن رجلاً محباً لموسى سمع ما دار في قصر فرعون فأسرع إلى موسى يدعوه للهرب من بطش فرعون، فهرب من مصر إلى مدين في شمال غربي جزيرة العرب[27]..

[27] انظر الآيات (14- 22) من سورة القصص.

وفي مدين استقر موسى في بيت شعيب عليه السلام[28]، الذي زوَّجه بإحدى ابنتيه بعدما رأى منه الخلق الطيب والوفاء النادر، ولما طال المقام بموسى بأرض مدين عزم على العودة إلى مصر. وما إن أدرك طور سيناء حتى ضل موسى الطريق، وفي ليلة مباركة أراد الله أن يخص موسى بكرامته ونبوته وكلامه، وكان الجو بارداً فقد رأى ناراً عن بعد فطلب من أهله ألا يبرحوا مكانهم فإنه ذاهب لعله يأتيهم بقبس من النار يستضيئون به، فلما وصلها ناداه ربه {**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**} [طه: 14]، فكانت إيذاناً ببدء نبوة موسى كليم الله عليه السلام..

[28] يرجح الكثير من العلماء أنه شعيب، كالقرطبي، وابن عاشور. وتسميه التوراة يثرون الكاهن. والكهانة من التنبؤ، أو النبوة. وتذهب بعض التفاسير إلى عدِّه مجهول الهوية، لعدم تسميته بالقرآن، فهو الشيخ الصالح الكبير {**وأبونا شيخٌ كبير**} [القصص: 23]، ولقول شعيب عليه السلام لقومه: {**وما قومُ لوطٍ منكُم ببعيدٍ**} [هود: 89]، ولوط عليه السلام على زمن إبراهيم عليه السلام. والله أعلم بالصواب.

وأوتي موسى سؤله، فبعث الله معه أخاه هارون وزيراً وأمرهما بلين القول مع فرعون، ثم أمرهما بأن يقولا لفرعون إننا رسولا رب العالمين إليك، فأطلقْ سراح بني إسرائيل ولا تعذبهم والسلام على من اتبع الهدى..

هنا أخذ الكبرياء مأخذه في فرعون فقال لموسى: ألم نربك فينا وليداً، ثم أخذ يعد فضائله عليه، بل راح يسخر من موسى وهارون واتهمهما بالسحر، وطلب من سحرته التصدي لهما، وبعد أن جاء السحرة وألقوا بسحرهم لمباراة موسى، ألقى موسى عصاه فكان نصر الله المبين، وآمن السحرة بموسى وبما جاء به من تعاليم إلهية ولم يأبهوا لتهديدات فرعون فقالوا جميعاً {**إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**} [طه: 73].

و تآمر فرعون على قتل موسى وزاد في التنكيل ببني إسرائيل، فأمرهم موسى بضبط النفس والتحلي بالصبر، إلى أن دعا موسى ربه أن يسلّط على فرعون وقومه العذاب الأليم وينزل بهم جام غضبه، قال تعالى: {**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ**} [الأعراف: 133].

ولما ضاق فرعون وقومه بما حل بهم طلب من موسى عليه السلام أن يدعو ربه ليكشف عنهم الغمة وسيكف عن تعذيب بني إسرائيل، فدعا موسى ربه بكشف البلاء، فأزاله الله عنهم، لكن فرعون عاود تعذيب بني إسرائيل كرة ثانية، فالتف بنو إسرائيل حول موسى وطلبوا منه أن يخرجهم من مصر. فأخذ موسى قومه وسار بهم صوب أرض كنعان عن طريق سيناء، فلحق بهم فرعون وجنوده. وبعد أن عبر موسى وقومه البحر بمعجزة إلهية أراد فرعون أن يعبر البحر في أعقاب موسى ولكن الله أغرقه ومن معه أجمعين، قال تعالى: {**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ**

آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ* آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ* فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ} [يونس: 90- 92].

وبعد نجاتهم لم يستقيموا على حال من الصلاح، بل ضلّوا مراراً، ومن ذلك عبادة العجل الذي صنعه السامريُّ حين ذهب موسى عليه السلام لتلقي الشريعة والألواح، ثم تابوا، قال تعالى: **{ولما سُقِطَ في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلُّوا قالوا لئن لم يَرْحمنا ربنا ويغفِرْ لنا لنكونَنَّ من الخاسرين}** [الأعراف: 149].

ثم عندما أمرهم بالتوجه للأرض المقدسة، أرض كنعان، لدخولها وقتال من كفر فيها بعد هجرة يعقوب وبنيه منها، وظهور الكفر بعد زمنهم، رفضوا أمر الله، وخافوا قوة أهلها، وتحسروا على مقامهم في مصر، ومما قالوه في ذلك: **{قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}** [المائدة: 24].

ولما أحجموا عن دخول الأرض المقدسة حلت بهم نقمة الله فتاهوا في الصحراء أربعين سنة، حتى مات ذلك الجيل إلا رجلان استجابا وقتها لأمر موسى عليه السلام، فتح الله الأرض عليهما بعد التيه. وقد مات موسى وهارون عليهما السلام في مدة التيه كذلك.

[توضح الصورة وجود احتمالين لطريق الخروج، ثم موضع التيه بعد النكوص عن الاستجابة لأمر الله بدخول الأرض المقدسة. ثم استجابة الجيل الثاني بعد التيه وطريقهم الذي اتخذوه إلى أرض كنعان.]

*** يوشع عليه السلام، ودخول الأرض المقدسة[29]:**

وهو النبي الذي بدأ الدخول بعد مدة التيه، مع الجيل الجديد المؤمن بالله، وفتح الله الأرض على يديه. وتضطرب التوراة في هذا الدخول فمرة تجعله دموياً قضوا فيه على أهل الأرض، ومرة يسكن بنو إسرائيل إلى جانب سكان الأرض الأصليين بعد الحرب.

وفي السنة النبوية ما يثبت هذا الدخول الديني والفتح الإلهي، فجاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: (إن الشمس لم تحبس لبشر إلا **ليوشع** ليالي سار إلى **بيت المقدس**)[30].

*** داود وسليمان عليهما السلام، وحكمهما لبني إسرائيل:**

ويموت يشوع عليه السلام، ويتفرق بنو إسرائيل إلى مجموعات يحكمها عدد من القضاة زمناً، ثم يحكمهم شاؤول "طالوت"[31]، فكان ملكاً عليهم زمن نبيهم صموئيل-كما تسميه التوراة- ليقودهم في حربهم. وفي تلك المعارك يظهر نجم داود عليه السلام عندما يتمكن من قتل جلّيات المبارز العتيد من الفلسطينيين[32]. ثم يعيّنه صموئيل عليه السلام ملكاً على بني إسرائيل، فيتم فتوحاته، ومن ذلك أنه يفتح أورشليم، ويتخذ حصن صهيون مدينة له[33]. وجهَّزَ لإعادة بناء بيت الله، ومات بعد حكم استمر أربعين سنة. ثم خلفه سليمان عليه السلام الذي أعاد بناء الهيكل كما يزعمون، أو المسجد الأقصى كما في السنة الشريفة، وفيها عن عبد الله بن عمرو ﷺ عن رسول الله ﷺ: {أن سليمان بن داود ﷺ لما **بنى بيت المقدس** سأل الله ﷻ خلالاً ثلاثة: سأل الله ﷻ حكماً يصادف حكمه فأوتيه، وسأل الله ﷻ ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله ﷻ حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاةُ فيه أن يُخرِجَه من خطيئته كيوم ولدَته أمُه}[34].

وبعد وفاة سليمان عليه السلام عام 922 ق.م ظهرت الخلافات من جديد، وانقسمت المملكة إلى دويلتين:

---

[29] وهو يشوع بن نون النبي، وصاحبه كالب بن يفنة كما تذكر التوراة.

[30] مسند أحمد بن حنبل، باقي مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة ﷺ، حديث رقم 8114.

[31] هو شاؤول في التوراة، وطالوت في القرآن الكريم، قال تعالى: **{وَقَالَ لَهُم نبيُّهُم إنَّ اللهَ قدْ بَعَثَ لكم طَالُوتَ مَلكاً}** [البقرة: 247].

[32] وجليات هو جالوت في القرآن الكريم: **{وقتل داوودُ جالوت}** [البقرة: 251].

[33] وصهيون هو جبل على حدود مدينة القدس يعتقد اليهود أنه جزء منها. وكثيراً ما يطلق صهيون على أورشليم كلها. (موقع الأنبا تكلا هيمانوت، **قاموس الكتاب المقدس**، صهيون).

[34] سنن النسائي، كتاب المساجد، باب فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه، حديث (رقم 686). ورواه ابن ماجه (1398). وأحمد في المسند (6467). ونقله ابن حجر عن ابن الجوزي ووصفه أنه من رواية النسائي من حديث عبد الله بن عمرو بإسناد صحيح، ولم يطعن فيه (انظر: **فتح الباري**: (408/6).

دولة شمالية سميت: **مملكة إسرائيل**، وعاصمتها نابلس، تجمع عشرة من الأسباط، وبقيت حتى عام 722 ق.م حيث قضى عليها الآشوريون، وحكموا تلك البلاد.

ودولة جنوبية سميت: **مملكة يهوذا**، وعاصمتها أورشليم، وقد بقي الملك فيها في ذرية سليمان حتى جاء (نبوخذ نصّر) البابلي عام 586 ق.م، فقتل ملكها "صدقيا" بعد تمرده عدة مرات، وأحرق أورشليم والهيكل، وسبى سكانها إلى بابل. فبقوا هناك حتى أعادهم الملك الفارسي قورش سنة 538 ق.م، ثم بقوا في فلسطين في ظل حكم اليونان، ثم الرومان. وقد دخل الرومان أورشليم عام 64 ق.م، واستمرت سيطرتهم على فلسطين حتى ظهور الإسلام سنة 636م.

وفي بداية حكم الرومان أظهر اليهود الولاء لهم، إلى أن أصدروا الحكم بإعدام السيد المسيح عليه السلام. ثم ساءت علاقتهم بالملك الروماني، وفي سنة 70م دمّر تيطُس ملك الرومان أورشليم رداً على ثورة اليهود عليه، ودمر الهيكل بالكامل، واستمر في اضطهادهم حتى عام 135م حيث تفرق شملهم في البلاد، ولم يبق أحد منهم في فلسطين.

ومن خلال هذا العرض التاريخي يظهر لنا أن بني إسرائيل لم يكونوا سكاناً أصليين في الأرض المقدسة، بل وفدوا إليها مع أنبيائهم، مغتربين في بداية الأمر مع إبراهيم عليه السلام، ثم فاتحين مع قوم موسى عليه السلام، وكان وجودهم في الأرض مشروطاً كما بينت التوراة في مواضع كثيرة: (في هذا البيتِ وفي أورشليمَ، التي اخترتُ من جميع أسباطِ إسرائيل، أضعُ اسمي إلى الأبد، ولا أعودُ أزحزحُ رِجْلَ إسرائيلَ من الأرضِ التي أعطيت لآبائهم، **وذلك إذا حفظوا وعملوا حَسَبَ كلِ ما أوصيتهم به**، وكلَ الشريعةِ التي أمرهم بها عبدي موسى) ملوك ثاني: (21: 7-8). و**لكن ما حدث هو أنهم** (فعلوا حَسَبَ كلِ أرجاسِ الأممِ الذين طردهم الربُ من أمامِ بني إسرائيل) ملوك أول: (14: 24). (اتَقَوا آلهةً أخرى.. عبدوا الأصنام.. عَبَّروا بنيهم وبناتهم في النار.. **فرذلَ الربُ كلَ نسلِ إسرائيلَ فأذلهم، ودفعهم ليدِ ناهبين حتى طرحهم من أمامه**) ملوك ثاني: (17: 7-23). فطردهم الرب، وأذن للأمة الخاتمة بفتح بيت المقدس بعد ذلك ليعيدوا للأرض الإيمان، ويحملوا راية الدين.

فلا عودة لليهود للأرض المقدسة بمعنى الملك والاستيلاء، ولكن لهم وللمؤمنين كافة اتصال روحي بها يكون بإصلاح حالهم، وعودتهم للتوحيد الصحيح، وتبجيلهم لكل الأنبياء، وخاتمهم سيدنا محمد صلوات الله عليهم..

وما سبق من ذكر تاريخ اليهود فهو الأبرز والأوضح في تاريخهم، وإلا فكتبهم المقدسة التي سنعددها لاحقاً تحمل أسماء العديد من الأنبياء ممن عرفنا من خلال السنة الشريفة، ومن لم نعرف، ولهم مع بني إسرائيل الكثير من الأحداث، والتي لن نذكرها منعاً للإطالة.

** **أسماء اليهود:**

من خلال العرض التاريخي السابق يتبين أن لليهود عدة أسماء تعود للمراحل التاريخية التي مروا بها، نوضحها بمبررات أكثر:

1. **العبرانيون:** وتعود هذه التسمية لأمور، منها:

- نسبة إلى اللغة الغالبة عليهم وهي العبرية، مثل تسمية العرب نسبة إلى اللغة العربية.
- نسبة إلى إبراهيم عليه السلام لأنه عبر الفرات، أو كان عابراً للبلدان.
- نسبة إلى (عبْر) وهو الجد الخامس لإبراهيم عليه السلام.
_ أو لأن اليهود كانوا يكثرون التنقل في الصحراء.

2. **بنو إسرائيل:** وهذا الاسم نسبة إلى جدهم الأقرب يعقوب أو إسرائيل عليه السلام، وكلمة (إسرائيل) في العبرية مركبة من جزأين: (إسرا أو يسرا) بمعنى العبد، و(إيل) بمعنى الله، فيكون معنى الكلمة (عبد الله) أو (صفوة الله). وهذا الاسم ورد في آيات كثيرة في القرآن الكريم.

3. **اليهود:** وهو الأكثر انتشاراً، وأُشتهر بعد بعثة موسى عليه السلام، وقد ذكره القرآن كثيراً، من ذلك قوله تعالى: **{ولن ترضى عنك اليهودُ ولا النصارى حتى تتبعَ ملَّتهم قل إنَّ هدى اللهِ هو الهدى}** [البقرة: 120]. ويمكن إرجاع هذا الاسم لعدة أسباب:

- أن يكون مشتقاً من الفعل (هادَ يَهودُ) بمعنى رَجعَ وتاب، وذلك لرجوعهم إلى الحق الذي جاء به موسى عليه السلام، فقالوا: {إنَّا هُدْنا إليك} [الأعراف: 156].
- وقد يكون إطلاق هذا الاسم لأنهم يتهوَّدون، أي يتحركون ذات اليمين وذات الشمال، أو ذات الأمام والخلف، عند قراءة التوراة وسائر كتبهم المقدسة.
- وقيل: نسبة إلى يهوذا وهو الابن الرابع ليعقوب عليه السلام، بعد تعريب اللفظ الأعجمي بإبدال الذال دالاً. وإنما تغلَّب عليهم هذا الاسم واشتهروا به لأن سبط يهوذا كان مزمعاً أن يكون له السؤدد والمجد في إسرائيل.

والمتتبع لآي القرآن يجد –في الغالب– أنها تسميهم يهوداً حين تتحدث عن كفرهم وجحودهم، وعندما تمدحهم وتذكرهم بنعم الله تسميهم ببني إسرائيل؛ لذلك ترى اليهود يصرون على تسميتهم ببني إسرائيل لارتباط هذا المعنى بمعنى القرب من الله ورضاه.

4. **أهل الكتاب:** وهذه التسمية في القرآن الكريم نسبة إلى الكتاب الأشهر الذي أُنزل عليهم، وهو التوراة. وهو لفظ يشتركون به مع النصارى إذ أطلقه القرآن الكريم في خطاب اليهود أو النصارى، كقوله تعالى: **{يا أهلَ الكتابِ قدْ جاءكُم رسولُنا يبينُ لكم كثيراً ممَّا كنْتُم تُخفونَ منَ الكتابِ ويعفو عن كثير}** [المائدة: 15]. وقال تعالى: **{قُلْ يا أهلَ الكتابِ تَعَالَوا إلى كلمةٍ سواءٍ بَيننا وبَينَكُم ألَّا نَعبدَ إلا اللهَ ولا نُشركَ به شيئاً ولا يتَّخذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دونِ اللهِ فإنْ تَوَلَّوا فَقُولوا اشْهدُوا بأنَّا مسلمون}** [آل عمران: 64].

5. **الصهاينة:** الصهيونية مصطلح سياسي يحمل فكرة الحق المزعوم بالعودة إلى أرض فلسطين (أرض الميعاد). لكنَّ هذا المشروع السياسي لا يستند إلى معتقد ديني؛ لأن العودة بحسب النصوص المقدسة لا تتم إلا على يد المخلّص المبعوث من الرب سبحانه.

أما كلمة صهيون فتعني الحصن، وهي رابية من الروابي التي تقوم عليها أورشليم، اتخذها داود عليه السلام مدينة له. ولتبرير المحتلين لحقوقهم المزعومة في أرض فلسطين استخدموا هذه التسمية.

****كتب اليهود المقدسة:**

يستقي اليهود عقائدهم وشريعتهم وتاريخهم من مصدرين أساسين هما: العهد القديم، والتلمود.

أولاً: العهد القديم: (Old Testament):

يؤمن اليهود على اختلافٍ بين فرقهم بأسفار العهد القديم، ويزعمون أن هذه الأسفار وصلت إليهم بواسطة أنبيائهم المبعوثين قبل عيسى عليه السلام، فهي عندهم وثيقة مقدسة. ويمكن قسمة أسفار العهد القديم إلى **مجموعات أربع**، وهي:

- أسفار الخليقة والناموس، أو أسفار التوراة.
- أسفار تاريخ الأنبياء الأوائل (نبيئيم).
- أسفار الأناشيد والأمثال والحكمة، أو أسفار الكتابات (كتبيم).
- أسفار الأنبياء المتأخرين (نبيئيم).

وتسمى هذه الأسفار بمجموعها (التناخ)، وهي كلمة منحوتة من الحروف الأولى لأسماء المجموعات السابقة، فالتاء للتوراة، والنون للنبيين، والخاء للكتب، لكن الكاف قلبت خاءً لوقوعها بعد المد.

أما تفصيل هذه المجموعات، فهو كالآتي:

*** أسفار الخليقة والناموس (التوراة):**

ومعناها الشريعة أو القانون، وهي الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، هي:

1. **سفر التكوين (تك):** ويسمى سفر الخليقة أيضاً، ويحكي قصة خلق العالم، وبناء السماء، ونشأة الإنسان الأول آدم وحواء، وقصة الطوفان وأبناء سام بن نوح، وهو الذي ينتمي إليه الإسرائيليون، ثم قصة إبراهيم وابنيه، ويعقوب ويوسف عليهم السلام، وغيرها من قصص أسباط بني إسرائيل.
2. **سفر الخروج (خر):** ويعرض تاريخ بني إسرائيل في مصر، وقصة موسى ودعوته فرعون إلى التوحيد، وقصة خروجه مع بني إسرائيل من مصر قاصدين أرض فلسطين، وما وقع من عصيانهم وتمردهم عليه وعلى أخيه هارون عليهما السلام، وكذلك ما وقع لهم في أرض سيناء، وأهم ما يشتمل عليه هذا السفر هو (الوصايا العشر).

3. سفر اللاويين (لا): ويسمى سفر الأحبار؛ أي علماء اليهود من نسل هارون وسبط لاوي بن يعقوب جد موسى، ويضم أهم الأحكام الشرعية المتعلقة بالعبادة والذبائح والقرابين، وما يتصل بها من طقوس وشعائر.

4. سفر العدد (عد): وقد احتوى في معظمه على إحصاءات لقبائل بني إسرائيل، ورؤوسهم وجيوشهم وأموالهم، كما احتوى على طائفةٍ من شؤون المعاملات والعبادات.

5 . سفر التثنية (تث): أو الاستثناء، ويعني تكرار (تثنية) الأحكام في الأسفار السابقة، وتكرار تاريخ بني إسرائيل إلى رحيل موسى عليه السلام، والقصد من هذا التكرار التوضيح وتنويع التعبير.

*** أسفار تاريخ الأنبياء الأوائل (نبيئيم):**

وعددها (ثلاثة عشر سفراً)، وهي بالتتابع لما سبق:

6. سفر يشوع (يش): يشوع بن نون، خليفة موسى عليه السلام، يحكي هذا السفر تفاصيل تدبيره وحيله في الحرب حتى استطاع أن يدخل الأرض المقدسة.

7. سفر القضاة (قض): يتحدث هذا السفر عن رؤساء بني إسرائيل، من يوشع بن نون حتى صموئيل، إذ كانوا يُسمون بـ (القضاة)، وأهم ما اشتمل عليه هذا السفر كيفية ابتعاد الشعب الإسرائيلي عن تعاليم الدين، وعقاب الله لهم على ذلك بعذابٍ شديدٍ، إلى أن جأروا إليه بالصراخ والتضرع، فأنقذهم الله من أعدائهم، بأيدي هؤلاء القضاة، وهذا هو التعليم الأساس في هذا السفر.

8. سفر راعوث (را): وهو اسم فتاةٍ موآبيةٍ جميلةٍ، تزوجت من سبط يهوذا، وصارت من سلسلة نسب داود، ويقال: إنها جدته.

9. سفر صموئيل الأول (اصم): يتحدث هذا السفر عن تاريخ النبي صموئيل، وتعيين شاؤول (طالوت) ملكاً، وظهور نجم داود عليه السلام..

10. سفر صموئيل الثاني (2 صم): يتحدث حكم داود عليه السلام.

11. سفر الملوك الأول (1 مل): وفيه استمرار حكم داود عليه السلام، وحكم سليمان عليه السلام وخلفائه.

12. سفر الملوك الثاني (2 مل): وفيه أخبار ملوك بني إسرائيل إلى حملة (نبوخذ نصَّر) وجلاء بابل.

13. سفر أخبار الأيام الأول (1 أخ).

14. سفر أخبار الأيام الثاني (2 أخ): هذان السفران هما في الحقيقة سفرٌ واحد، لوحدة الفكر والهدف، وهما تتمة الأسفار صموئيل التاريخية، ويمكن تقسيم محتويات هذا السفر إلى أربعة أقسام: آدم وذريته، موت شاؤول وحكم داود، حكُم سليمان، تقسيم مملكة بني إسرائيل بعد موت سليمان.

15. سفر عزرا (عز): عزرا اسم عبري معناه (عون)، وهو اسم الكاهن الأكبر في بلاط إمبراطور الفُرس، وقد استطاع عزرا –لقربه من الإمبراطور– أن ينال العفو عن اليهود، والسماح لهم بالعودة إلى فلسطين،

لذلك فإن أهم ما اشتمل عليه سفر عزرا: الحديث عن إعادة بناء أورشليم، وعودة بني إسرائيل إليها، ويرى العلماء أنه (عزير) في القرآن الكريم، وأنه من أعاد كتابة التوراة لبني إسرائيل.

16. سفر نحميا (نح): نحميا مساعد عزرا في أعماله الإصلاحية.

17. سفر أستير (أس): سمي هذا السفر باسم امرأةٍ يهودية (أستير)، وهي التي أدت دوراً مهماً في إنقاذ اليهود وإحباط المؤامرة التي دُبرت من (هامان) ملك الفرس لإبادة اليهود.

*** أسفار الأناشيد والأمثال والحكمة، أو أسفار الكتابات (كتبيم):**

وهي في جملتها مواعظٌ دينية بأسلوب شعري، موضوعها المدائح والتضرعات والتأملات، كتبَ داود عدداً كبيراً منها، والباقي كتبهُ الكهنة واللاويون، وعددها خمسةُ أسفارٍ، هي تبعاً لما سبق:

18. سفر أيوب (أي): عرض لابتلاء أيوب عليه السلام، وبيان حاله بين الرضى والسخط.

19: سفر المزامير (مز): أو مزامير داود، وهي مجموعةً من المزامير، عددها (150 مزموراً)، وهي أغانٍ وأناشيد دينية يتغنى بها الإسرائيليون، ونسبت إلى داود تغليباً، لأن (73 مزموراً) منها لداود، وقد ذكر القرآن الكريم زبور داود، ويبقى الشكُ قائماً في سلامة نسبة هذه المزامير إلى داود عليه السلام دون تبديلٍ أو تغيير.

20. سفر الأمثال (أم): أو أمثال النبي سُليمان عليه السلام، ويضمُّ مجموعة نصائح وآداب تناقلتها الأجيال، كما اشتمل على بعض الأناشيد التي يرتلها اليهود في عيد الفصح.

21. سفر الجامعة (جا): وهو مجموعة أشعارٍ فيها تشاؤم وتشكيك في شؤون الدنيا.

22. سفر نشيد الأنشاد (نش): وهو مجموعة أشعار غزلية.

والأسفار الثلاثة الأخيرة (الأمثال، الجامعة، الإنشاد) تسمى (أخبار سليمان) إذ تنسب إليه.

*** أسفار الأنبياء المتأخرين (نبيئيم):**

ويشتمل هذا القسم على تحذيرات وتهديداتٍ تحومُ حولَ عاقبةِ بني إسرائيل لمخالفة اليهود لربهم، بالشرك والإفساد، وجاءت هذه التحذيرات على لسان العديد من الأنبياء. ويضمُّ القسم (سبعة عشر سفراً)، هي: **سفر إشعيا** (إش) وهو أطول وأشهر سفرٍ للتنبؤات في العهد القديم. **سفر إرميا** (أر). **سفر مراثي إرميا** (مرا) وهو مراثي إرميا على أنقاض أورشليم. **سفر حزقيال** (حز). **سفر دانيال** (دا). **سفر هوشع** (هو). **سفر يوئيل** (يو). **سفر عاموس** (عا). **سفر عوبديا** (عو). **سفر يونان** (يون) وهو يونس وقصة لبثه في بطن الحوت. **سفر ميخا** (مي). **سفر ناحوم** (نا). **سفر حبقوق** (حب). **سفر صفنيا** (صف). **سفر حجي** (حج). **سفر زكريا** (زك). **سفر ملاخي** (مل)، وهو الأخير.

*** نسخ التوراة وتاريخ تدوينها:**

أُنزلت التوراة على سيدنا موسى عليه السلام، وهو نقلها إلى قومه، ولكننا نرى اليهود قد أضافوا إليها كتباً أخرى وقدسوها إلى جانبها -كما سبق- وهي تحوي تاريخهم كله بعد موسى عليه السلام، وقبل مجيء عيسى عليه السلام.

ويثبت علماء نقد الكتاب المقدس أن توراة موسى قد ضاع معظمها من اليهود لعدم عنايتهم بحفظها، بينما ما وجد لديهم بعد ذلك فهي نسخ جُمعت فيما بعد، وأشهرها وأقدمها ثلاثة نسخ، وهي:

1. **نسخة التوراة العبرية:** (الماسورا) وتضم الأسفار الأولى إلى ما قبل سفر عزرا، وكاتبها هو عزرا صاحب السفر، وقد تم تدوينها ما بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد خلال مدة السبي البابلي اعتماداً على ذاكرته وعلى بعض الوثائق التي ظلت موجودة إلى عهده.

2. **نسخة التوراة اليونانية:** وتسمى السبعينية لأنه اجتمع على نقلها من العبرية إلى اليونانية أكثر من 70 حبراً دعاهم حاكم الإسكندرية بطليموس فيلا دلف في القرن الثالث قبل الميلاد إلى الإسكندرية وأمرهم بترجمة كتبهم إلى اليونانية، فخرجت تلك النسخ وفيها إضافات عن سابقتها.

3. **نسخة التوراة اللاتينية:** وتسمى الفولجاتا أي (الدارجة)، وقد جمعها القديس سان جيروم عن نسختين ظهرتا خلال القرن الثاني والثالث للميلاد، وقد أنهى الجمع (404) للميلاد.

ورغم ضياع هذه النسخ بعد ظهورها إلا أنها عادت للظهور وانتشرت بين الأيدي، ولكن تلك الظروف ساهمت في إدخال التغيير والتبديل المستمر عليها.

ثانياً: التلمود (Talmud):

التلمود كلمة عبرية أصلها (لامودا)، ومعناها التعاليم، وهو – بحسب زعم اليهود – شريعة شفوية أعطيت لموسى عليه السلام على طور سيناء إلى جانب القانون المكتوب على ألواح الحجَر (التوراة)[35].

علماً أن مضمون التلمود يدحض هذا الزعم، لأن في طياته حوادث ووقائع ومواقف لم تكن في زمن موسى عليه السلام، وأبرزها الموقف السلبي من السيد المسيح وعدِّه المسيح الدجال، وهو غير المسيح المنتظر عندهم، وبالتالي تكفيره، وكذا الإساءة إلى والدته مريم الطاهرة في شرفها، لعجيب ولادته عليه السلام. ثم إن التلمود أساس لعنصرية اليهود وامتهانهم للآخرين.

---

[35] انظر: التلمود كتاب اليهود المقدس: د. أحمد إيبش: ص 25.

وقد شنَّ الملوكُ والباباوات المسيحيون –فيما بعد– حملاتٍ شديدة ضد التلمود باعتباره مصدر الشر الكامن في الديانة اليهودية، وأصدرت الأوامر بإتلاف نسخ التلمود في فرنسا، في عهد لويس التاسع، سنة (1266م)، كذلك أمر ملك إنكلترا سنة (1290م) بطرد اليهود عن البلاد، وفي سنة (1565م) أصدر البابا بيوس الرابع بابا الكاثوليك في روما أمراً بحرمان التلمود حتى من اسمه.

وقد تنبه أحبارُ اليهود الذين اجتمعوا عام (1631م) في بولونيا إلى خطورة الموقف، فقاموا بحذف الكلمات التي تنال من السيد المسيح والمسيحية، وتركوا مكاناً فارغاً، واتفقوا على تلقينها مشافهةً لتلاميذ مدارسهم الدينية.

*** أقسام التلمود ومضامينه:**

التلمود قسمان: (المشناة Mishnah) وترجح المراجع أنها كُتبت بالعبرية، و(الجُمَّارا Gemara) وهي تفسير للمشناة، وكانت بالآرامية.

أولاً– المشناة (المشنة):

ومعناها التكرار أو الشريعة المتكررة، وهو بمنزلة المتن، مجموعة من الشرائع اليهودية المختلفة المروية على الألسنة لقرون عديدة، إلى أن دونها الحاخام (يهودا هناسي) في **نهاية القرن الثاني بعد الميلاد، بالعبرية،** ويزعم اليهود أن تلك الشرائع والروايات قد تلقاها موسى من الله تعالى، ثم نقلها موسى من بعدُ مشافهةً إلى هارون ويوشع اللذين نقلاها إلى الأنبياء، ونقلها الأنبياء أيضاً إلى أحبار اليهود وعلمائهم وتناقلتها الأجيال إلى أن جمعها ودونها الحاخام (يهودا).

تتألف المشناة من ستة أقسام تُدعى (سيداريم) أي أنظمة، وهي:

1_ زراعيم: يتضمن القوانين الدينية الخاصة بالأرض والزراعة.

2– موعيد: يختص بالأمور الدينية المتعلقة بالأعياد والسبت والأيام المقدسة، وما يتصل بها من طقوس واحتفالات في كل موسم.

3– ناشيم: خاص بالنساء، ويتضمن قواعد الزواج والطلاق، والنذور والوصايا.

4– نزيقين: خاص بالجنايات والأضرار والتعويض عنها، وفيه قانون العقوبات، والقوانين المدنية والجنائية، والمحظورات والقصاص ونحوها.

5– قداشيم: خاص بالمقدسات، ويبحث شعائر الذبائح والهيكل، وأحكام الصوم.

6– طهاروت: يتضمن أحكام الطهارة والملابس والأوعية والأثاث، وكيفية التطهير، إضافة إلى بيان الحلال والحرام من الأطعمة والأشربة.

ولما أكمل الحاخام (يهودا) تقييد المشناة في القرن الثاني الميلادي انصبت جهود أحبار اليهود على شرحه وتبسيطه واستنباط الأحكام منه، ومن تلك الشروحات والحواشي الكثيرة تكوَّن القسم الثاني من التلمود (الجمارا).

ثانياً– الجُمَّارا (الجمارة):

ومعناه التكملة أو الإكمال، وهو مجموعة من شروحات الأحبار على المشناة، وفيه أساطير وأقوالٌ مرويةٌ عن حاخامات اليهود في مواضيع شتى، وعبر عصورٍ مختلفةٍ، **من القرن الثالث الميلادي إلى نهاية القرن الخامس، وكُتبت باللغة الآرامية.**

وثمة مجموعتان متوازيتان من الجمارا هما: (جمارا بابل) و (جمارا أورشليم)، ومرجعُ هذا التقسيم إلى اختلاف مركز البحث العلمي والديني لليهود، ومكان تمركز أحبارهم:

فأما **جُمَّارا بابل**: فهو شروحات لأحبار اليهود على المشناة في بابل (العراق)، حيث استمر تجمع اليهود هناك كجاليةٍ أجنبيةٍ من سنة (219 ق.م) إلى سنة (599 م).

وأما **جُمَّارا أورشليم**: فهو شروحات لأحبار اليهود على المشناة في أورشليم (فلسطين)، ممن بقي هناك من فلول اليهود، أو ممن جاؤوا إليها متسللين، من سنة (219 م) إلى سنة (759 م).

ولذلك اشتهر في نهاية المطاف تلمودان:

الأول: تلمود بابل: وهو مكون من المشناة وجمارا بابل، ويسمى أيضاً (التلمود الشرقي)، وهو المتداول بين اليهود، والمرادُ عند الإطلاق، ويحظى بتقديرٍ أعظم في أعين اليهود من التلمود الأورشليمي، وسبب ذلك أنه يمتاز عنه بميزتين؛ أولاهما تتعلق بنصه: وذلك أن الجمارا البابلي يغطي بشرحه الأقسام الستة من نص المشناة، وثانيتهما تتعلق بالأحبار الذين دوَّنوه: إذ كانوا يحظون بثقةٍ أرسخ وأكبر – من حيث التبحرُ في الفكر اليهودي – مما كان يحظى به أحبارُ اليهود في فلسطين.

الثاني: تلمود أورشليم: وهو مكون من المشناة وجمارا أورشليم، ويسمى أيضاً (التلمود الفلسطيني) أو (التلمود الغربي)، وظل ناقصاً لا يشرح إلا ثلاثة كتب من المشناة)[36].

---

[36] انظر: التلمود كتاب اليهود المقدس: د. أحمد إيبش: ص 31- 33 .

** **أشهر الفرق اليهودية :**

يتوزع أتباع اليهودية منذ زمن بعيد في فرقٍ، تبعاً لاختلاف نظرتهم إلى الشريعة الكتابية (العهد القديم)، أو إلى قبول الشريعة الشفوية (التلمود)، أو إلى موضوع القيامة والآخرة.

والفرق اليهودية ليست على مستوى واحدٍ في الانتشار والأتباع، فمن هذه الفرق من لا يزيد أتباعها على المئات، ومنها ما يربو على الملايين، ومنها ما انقرض ودخل في ديانات سماوية أخرى، أو ذاب أتباعها في بوتقة فرقٍ يهودية أخرى. ولعل أشهرها خمس فرق هي:

أولاً– الفريسيون: أصلها (فروشيم)، أي المنفصلون، وهم طائفةٌ من الفقهاء الدينيين شديدي التعصب، إذ يتمسكون بحرفية النصوص ويخالفون روحها، وقد تكرر اسمهم في الأناجيل الأربعة محاولين الوشاية بعيسى عليه السلام لقتله، إذ كان المسيح ألد أعدائهم، لأنه فضح نفاقهم وكذبهم وبهتانهم، وهم يشكلون الآن أكثر اليهود عدداً ونفوذاً[37].

ويعود أصل هذه الفرقة إلى فرقة (حسيديم) أي الزاهدين، التي ظهرت في القرن الثالث أو الرابع قبل الميلاد، ويقال: إن أحبار الفرنسيين وفقهاءهم هم الذين ألفوا التلمود، ويسمون أنفسهم بـ (الأحبار والربانيين) أو (الرفقاء) مع أن لفظ (الفريسيين) لا يفيد ذلك، إذ معناه الانشقاق والاعتزال، وهي تسمية لا تعجبهم. **ويمكن أن نجمل عقيدة هذه الفرقة بما يأتي:**

1- يؤمنون بالتوراة وبكل أسفار العهد القديم، ويعتقدون أن التوراة خلقت من الأزل، وأنها كانت مدونة على ألواح مقدسة، ثم أوحى الله بها إلى موسى عليه السلام.

2- ينزهون الله عن الجسم والصفات الجسمية.

3- يؤمنون بالتوراة الشفوية (التلمود) التي جمعها أحبار اليهود.

4- يؤمنون بأنبياء بني إسرائيل، ويثبتون لهم العصمة، ويقولون بعصمة الحاخامات، إذ إن لهم من القداسة ما للأنبياء وطاعتهم من طاعة الله لأنهم لا ينطقون إلا عن الله فلا يؤخذ الدين إلا منهم.

5- يعتقدون بالبعث، وبالملائكة، والعالم الآخر.

6- يقولون بمجيء المسيح المخلص ليخلصهم من ظلم الآخرين ويعيد إليهم السيطرة والغلبة.

7- يميلون إلى التقشف والزهد، ويضرب أكثرهم عن الزواج.

ثانياً– الصدوقيُّون: كان الصدوقيون طبقة أرستقراطية عريضة الثراء، عظيمة النفوذ السياسي والديني، لكن لم يبق لهم أثر بعد تدمير أورشليم عام (70م)، واختلفت الأقوال في نسبة هذه الفرقة: فمنهم من

---

(37) انظر: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم: د. محمد علي البار: ص 241 – 245، وهداية الحيارى: لابن القيم: ص 234 ، تحقيق: أحمد حجازي السقا، القاهرة، دار الريان للتراث، 1979م.

نسبها للكاهن الأعظم في عهد سليمان، المسمى (صادوق)، والمنسوب إلى هارون ﷺ، وقيل: نسبةً لكاهن غيره له الاسم ذاته، ولعل الأصح أنها من تسمية المخالفين، وهي من باب تسمية الشيء بضده، وذاك أنهم أنكروا وكذبوا بأهم العقائد الكبرى في الكتب السماوية، وأهم ما يؤثر عنهم من معتقدات أنهم:

1- لا يؤمنون بالبعث الأخروي، ويقولون: إن الجزاء دنيوي.

2- لا يؤمنون بوجود الملائكة والشياطين.

3- يرفضون ما سوى التوراة المكتوبة، فلا يؤمنون بالتلمود.

4- يميلون إلى الاعتقاد بجسمية الله تعالى.

ثالثاً- السامريُّون: فرقة يهودية قليلة الأتباع، لكنها لم تزل حية إلى اليوم، تنتسب إلى منطقة (السامرة) في فلسطين، أو ما يسمى اليوم بـ (الضفة الغربية)، ويتميزون من باقي الفرق بأنهم لا يعترفون بغير الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم، تلك التي تعرف مجتمعة باسم (التوراة)، إضافة إلى سفري يوشع والقضاة.

ويعتقد السامريون أنهم الصفوة الباقية من بني إسرائيل، وأنهم حماة التوراة والعاملون بما جاءت به والمختارون من الله، وأنهم البقية من أولاد يعقوب ﷺ.

ويفترقون عن سائر اليهود في قضية أساس هي (موقع الهيكل واتجاه القبلة)، فيقولون: إن الله تعالى أمر داود ﷺ أن يبني بيت المقدس بجانب نابلس، وهو الطور الذي كلم الله عليه موسى ﷺ، ولكن داود تحول إلى إيلياء وبنى البيت فيها وخالف الأمر فظلَم، ولذلك توجه السامريون إلى تلك القبلة الأولى في جبلٍ يقال له (غرزيم) بين بيت المقدس ونابلس، مخالفين بذلك سائر اليهود، وأقاموا عليه هيكلاً لأنفسهم لينافس هيكل أورشليم[38]، حتى إن لغتهم غير لغة سائر اليهود، وقد زعموا أن التوراة نزلت بلغتهم السامرية، ثم ترجمت إلى السريانية، وأهم عقائدهم:

1- يؤمنون بنبوة موسى وهارون ويوشع بن نون، ولا يعترفون بأنبياء سواهم.

2- يؤمنون بنبوة رجل يدعى (ألفان)، ويقولون: إن موسى ﷺ بشر بمجيئه.

3- لا يؤمنون بالحياة الآخرة.

---

[38] انظر: موسوعة الكتاب المقدس: مادة (جرزيم)، والمدخل لدراسة التوراة والعهد القديم: د. محمد علي البار: ص 252 – 253.

رابعاً- القراؤون: هذه التسمية مشتقةٌ من المصدر العبري (قرا) أي قرأ ودعا، لأنهم لم يؤمنوا بغير (المقرا) وهي عندهم التوراة المكتوبة فقط دون الشفهية، ويطلق عليهم أيضاً (العنانيين) نسبة إلى عنان بن داود الذي ظهر في بغداد أواخر القرن الثامن (نحو760م) ، وأهم عقائدهم وشرائعهم:

1- لا يؤمنون بالشريعة الشفهية، ولا قداسة عندهم إلا لأسفار العهد القديم.

2- يكذبون كل من عداهم من الفرق الأخرى، ويرونهم فسقة.

3- لا يقولون بنبوة عيسى عليه السلام، وبعضهم يقول: إنه ليس نبياً ولكنه ولي من أولياء الله العارفين بالتوراة، ويرون أن (الإنجيل) ليس كتاباً مقدساً، بل هو سيرةُ حياة المسيح عليه السلام.

4- ينهون عن أكل الطير والظباء والسمك.

خامساً-العِيسويَّون: أو العيسوية، نسبة إلى عيسى بن إسحاق بن يعقوب الأصفهاني، الذي ظهر أيام المنصور العباسي، وادعى النبوة، وتبعه عددٌ كبير من اليهود، وأهم الأفكار التي دعا إليها:

1- أنه نبي، بل هو النبي المنتظر الذي بشر به سيدنا عيسى عليه السلام.

2- أن الله كلفه أن يخلص بني إسرائيل من أيدي الأمم.

3- أن المسيح أفضل ولد آدم، وأنه رسول المسيح إليهم.

4- نهى عن ذبح كل ذي روحٍ وأكله.

5- أوجب عليهم عشر صلوات.

6- نبوة سيدنا محمد ﷺ صحيحة لكنها خاصة بالعرب.

** عقائد اليهود الأساسية:

إنَّ من أهم المفاهيم العقدية في اليهودية، مفاهيم ثلاثة أساسية أحدثت جدلاً كبيراً حتى يومنا هذا، وهي: **إله اليهود، والشعب المختار، والأرض الموعودة.** وتتفاوت الرؤية لهذه المفاهيم بين الاعتدال والتطرف؛ فتذهب الآراء المتطرفة إلى اعتبار الإله اليهودي مجرد إله قومي خاص بشعب واحد. وتذهب آراء أخرى إلى أنه إله العالم كله، إلا أنه أحب الشعب الإسرائيلي فقط من بين الشعوب فعرَّفه طرقه وقدَّسه، وأهمل بقية خلقه. ولفرط محبته بهذا الشعب فقد اختار له أرضاً كثيرة الخيرات ليسكنها.

بينما تذهب الآراء المعتدلة إلى أن الإله المذكور في العهد القديم هو إله العالمين خالق السماوات والأرض جميعاً، وأن الشعب الإسرائيلي هو واحد من الشعوب التي خلقها الله وأمرها بعبادته وحفظ وصاياه لتنال بذلك خيراً، وأنه لم يخصهم بسكنى أرض محددة بغاية التمليك، وإنما أمرهم بتطهيرها من الشرك الذي كان منتشراً فيها آنذاك.

ويرى البعض أن هذه النظرة المعتدلة للإله وصل إليها الشعب الإسرائيلي في مرحلة النبوة المتأخرة ما بين القرن الثامن والرابع قبل الميلاد، ولم تكن قبل ذلك.

ولكننا هنا سنهمل الآراء المتباينة ونركز على تجلية ما يمكن تصوره بقية وحي لمدلول هذه المفاهيم العقدية، وتحديدها من خلال الاحتكام إلى ما جاء في العهد القديم نفسه، وتجاهل العبارات المحرَّفة فيه، مع المقارنة مع مفهوم القرآن وآياته.

أولاً: إله اليهود هو إله العالمين:

* في التوراة وبقية أسفار العهد القديم ما يثبت أن إله اليهود، هو إله من سبقهم كإبراهيم عليه السلام، وغيره:

قال الرب لموسى عليه السلام: ((..**هكذا تقول لبني إسرائيل: يهوا إله آبائكم، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم، هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكري إلى دور فدور**)) (خروج3: 13-15). وكذا: ((**وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء. وأما باسمي يهوه فلم أُعرف عندهم**)) (تكوين6: 3).

وفي التثنية ينقل موسى عليه السلام كلاماً يصف الله به نفسه: ((**إنك قد أريت لتعلم أن الرب هو الإله. ليس آخر سواه.. فاعلم اليوم وردد في قلبك أن الرب هو الإله في السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل. ليس سواه**)) (تثنية4: 35، 39)، كما ورد قوله: ((**أنا أنا هو وليس إله معي. أنا أميت وأحي، سحقت وإني أشفي، وليس من يدي مخلص**)) (تثنية35: 39).

وفي إشعياء، وهو من الأنبياء المتأخرين، يقول الرب: ((**أليس أنا الرب (يهوا) ولا إله غيري.. ليس سواي**)) (45: 21-22)، ويثبتُ أن كل الأمم تعبده، فهو رب العالمين: ((**التفتوا إلي واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض.. إنه لي تجثو كل ركبة، يحلف كل لسان**)) (إشعياء45: 22-23)، وهذه وأمثالها كثيرة في العهد القديم.

* ثم كل الأمم الذين ذكرهم العهد القديم يخاطبون إله إسرائيل بأنه إلههم، فهذا ملكي صادق الذي لاقاه إبراهيم بعد انتقاله إلى أرض كنعان، يبارك إبراهيم لمكانته عند الله العلي: ((**وملكي صادق، ملك شاليم، أخرج خبزاً وخمراً. وكان كاهناً لله العلي. وباركه وقال: مبارك أبرام من الله العلي مالك السماوات والأرض**)) (تكوين14: 18-19).

وإبراهيم عليه السلام يدعو باسم الله العلي: فقال: ((**رفعت يدي إلى الرب الإله العلي مالك السماء والأرض، لا آخذن خيطاً ولا شراك نعل..**)) (تكوين14: 22-23).

ويخاطب إله التوراة ملوك الأمم الأخرى بما يؤكد أنه ربهم، ومن ذلك: ((**ويل لآشور قضيب غضبي.. لأنه قال: بقدرة يدي صنعت، وبحكمتي لأني فهيم..**)) (إشعياء10: 5-19).

وهذا يونان (يونس عليه السلام) وهو من بني إسرائيل في العهد القديم، يرسله الله لأهل نينوى (من العراق) لإعادتهم إلى الإيمان به؛ مما يعني أنه رب العالمين جميعاً: ((**وصار قول الرب إلى يونان بن أمتاي قائلاً: قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة ونادِ عليها، لأنه قد صعد شرهم أمامي**)) (يونان 1: 1- 2).

* وتوضح التوراة وبقية الأسفار أن الآلهة الأخرى -إن وجدت- فهي مجرد أصنام، ومما جاء في ذلك، وهو كثير:

يقول الرب لموسى عليه السلام معلماً لقومه: ((**لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة ما.. لا تسجد لهن ولا تعبدهن**)) (خروج20: 4).

ويقول داود عليه السلام: ((**لأن كل آلهة الأمم أصنام، وأما الرب فقد صنع السماوات. الجلال والبهاء أمامه. العزة والبهجة في مكانه**)) (أخبار الأيام الأول16: 26-27).

ويقول داود عليه السلام: ((**إن إلهنا في السماء، كلَّما شاء صنع. أصنامهم فضة وذهب، عمل أيدي الناس، لها أفواه ولا تتكلم، لها أعين ولا تبصر. لها أيدي ولا تلمس. لها أرجل ولا تمشي، ولا تنطق بحناجرها. مثلها يكون صانعوها، بل كل من يتكل عليها**)) (مزمور115: 3-8).

وجاء في إشعياء، قول الرب: ((**من تشبهونني وتسوونني لنتشابه؟ الذين يفرغون الذهب من الكيس، والفضة بالميزان يزنون. يستأجرون صائغاً ليصنعها إلهاً. يخرّون ويسجدون! يرفعونه على الكتف، يحملونه ويضعونه في مكان ليقف. من موضعه لا يبرح. يزعق أحد إليه فلا يجيب، من شدته لا يخلّصه.**)) (إشعياء46: 5-7)، بينما الرب هو:

((**أنا الله وليس آخر، الإله وليس مثلي مخبر منذ البدء بالأخير، ومنذ القديم بما لم يُفعل، قائلاً: رأيي يقوم وأفعل كل مسرتي.. قد تكلمت فأجريه. قضيت فأفعله**)) (إشعياء46: 9-11).

فهذه الأدلة، وغيرها كثير، تثبت أنَّ إلهَ اليهود هو إله الأمم جميعاً، وأن الآلهة الأخرى إذا ذُكرت يراد بها الأصنام والآلهة المنحوتة من ذهب وغيره، ولهذا ينبغي حذف العبارات الخاطئة والمغايرة لهذا المعنى، والتي وضعتها أقلام المحرِّفين في العهد القديم.

ثانياً: مفهوم الاختيار الإلهي لشعب بني إسرائيل:

الشعب اليهودي في عقيدة اليهود هو شعب مختار ومقدس من قبل الرب. وتتفاوت هذه النظرة في الأسفار المختلفة للعهد القديم من نظرة معتدلة ترى أن الشعب يستحق التقديس في حال تمسكه بوصايا الرب وأحكامه، وبالتالي فهو لا يستحق التقديس بدون ذلك. إلى نظرة مغالية تفهم التقديس على أنه انحسار للمسؤولية؛ فالشعب مقدس إن عصى أو أطاع، والرب هو من ألزم نفسه بهذا التقديس لا الشعب.

وقد ذكر القرآن الكريم قضية تفضيل شعب بني إسرائيل في زمنهم، وفيه آيات كثيرة تبين المعنى المراد من ذلك التفضيل، الذي يتنافى مع الفكر اليهودي المتطرف، والمخالف لمنهج الله عز وجل في بسط العدل

ودفع الظلم في الأرض. والقرآن الكريم لا يكتفي ببيان معنى التفضيل، ولكنه يردُّ على التفسيرات المغالية عند اليهود.

وسنبين أن **الاختيار مشروط بالإيمان، من الكتاب المقدس** ببعض الأدلة:

* يقول الرب لموسى عليه السلام بعد إهلاك عدوهم: ((**هكذا تقول لبيت يعقوب.. أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين.. فالآن إن سمعتم لصوتي، وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين الشعوب. فإن لي كل الأرض. وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة**)) (خروج19: 3-6).

* ويتأكد الاختيار المشروط عند دخول الأرض المقدسة: ((**فتحفظون جميع فرائضي وجميع أحكامي، وتعملونها لكي لا تقذفكم الأرض التي أنا آتٍ بكم إليها لتسكنوا فيها.. أنا الرب إلهكم الذي ميّزكم من الشعوب.. وتكونون لي قديسين لأني قدوس أنا الرب،**)) (لاويين20: 22-25).

* لكن بسبب ذنوبهم بعد الدخول للأرض حدث السبي، فصرّح الكتاب بقول الرب: ((**انهضي، انهضي، قومي يا أورشليم التي شربت من يد الرب كأس غضبه**)) (إشعياء51: 17).

* ويعود التفضيل إليهم مع من صَلُحَ منهم: ((**فإن رددت في قلبك.. ورجعت إلى الرب إلهك.. يرد الرب سبْيَكَ ويرحمك، ويعود فيجمعك..**)) (تثنية30: 1-4).

فالمنهج واحد ومستمر، **ومن آيات القرآن الكريم**، يتضح التفضيل المشروط كذلك:

* صرَّح البيان القرآني بتفضيل بني إسرائيل على غيرهم في زمنهم، وأمرهم الله سبحانه وتعالى أن يذكروا نعمته بذلك، فقال عز وجل:

﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [سورة البقرة، آية 47، 122].

* وجاء في مواضع أخرى ففصّل ما فضّلهم به من النعم على غيرهم من الأمم، فمن ذلك أنه تعالى خلّصهم من ظلم فرعون وبطشه، وملّكهم أمر أنفسهم، وجعل منهم أنبياء، من ذلك:

﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى**﴾ [سورة طه، آية80].

﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [سورة الجاثية، آية16].

* وعندما أصبح بنو إسرائيل أحراراً، أخذ الله ميثاقهم بالإيمان به، وفعل الصالحات، وترك مخالفته، ووعدهم بالإحسان إليهم إذا ما تمسكوا بعهده وأوفوا به، وفي كل ذلك فضل وإنعام، قال تعالى:

﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾ [سورة البقرة، آية40].

* وحذَّرهم من العصيان، وكانت العقوبات تأتي بحسب ذلك:

﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة البقرة، آية211].

و﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيراً﴾ [سورة النساء، آية160].

* وتأكيداً لأن بني إسرائيل أخذوا يصورون لغيرهم أن تفضيل الله لهم هو أمر منفصل عن التزامهم بأمره، أو أنه تفضيل لجنسهم دون عملهم؛ فقد ادعوا لأنفسهم بعض الأمور في عصر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فكان رد القرآن عليهم حاسماً، ومن ذلك:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة الجمعة، آية6].

﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة، آية111].

﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ(80) بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة البقرة، آية80-81].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَللّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [سورة المائدة، آية18].

إذن فضل الله ونعمه على بني إسرائيل كثيرة والتفضيل أحد أشكالها، وهو يندرج تحت القضية الكبرى والغاية الأساسية وراء ذلك كله، ألا هو اختيارهم لحمل رسالة التوحيد من بين المشركين في زمنهم، وهذا لا يعدله فضل ولا منة. وقد جاء الحديث عن شعب بني إسرائيل بلفظ الاختيار مرة واحدة في القرآن الكريم، وهي في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ(32) وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاء مُّبِينٌ﴾ [سورة الدخان، آية32-33]، فقرن القرآن الكريم بين الاختيار والاختبار في الآيتين السابقتين ليدل على أن الاختيار على قدر شرفه فهو تكليف وابتلاء، وليس بغاية التمييز العرقي أو لغير ما مبرر، والشواهد القرآنية الأخيرة خير دليل على ذلك.

ثالثاً: مفهوم الوعد بالأرض لبني إسرائيل:

يروّج كثير من اليهود، وآخرون غيرهم، أن أرض فلسطين منحها الله لليهود إرثاً أبدياً لا يكون لغيرهم، وأنه لا يكتمل إيمانهم إلا بالحصول عليها. فعلوا ذلك في الماضي، فلما أُخذت من أيديهم وجب عليهم العودة إليها كما يحدث اليوم.. وقيل إن العهد القديم، هو مصدر هذا الحق. فهل ورد فيه ذلك حقاً!؟ بلا ضابط من حالهم كأن يكونوا مؤمنين أتقياء صالحين؟ وكذا من دون اشتراط أن يكون أصحاب الأرض كافرين بالله، عاصين له، كما كان حالهم ذلك الحين؟

وهل يمكن أن نستعين بالقرآن الكريم لتصديق ما يمكن تصديقه من ذلك، لأن وعد الله لليهود بالأرض وإنْ ابتدأ في العهد القديم مع الآباء–كما يقولون– إبراهيم وبنيه عليهم السلام؛ **إلا أنه لم يكن مطلقاً بلا قيد أو شرط، وهذا ما سنثبته بهذه الأدلة:**

* ذكر سفر التكوين مقتطفات من حياة إبراهيم عليه السلام، وحياة أبنائه من بعده، وانتقاله إلى فلسطين –كما ذكرنا سابقاً– ووعده ربه أنه سيجعله فيها أمة عظيمة، وأنه ستتبارك به جميع قبائل الأرض:

((**وقال الرب لأبرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظّم اسمك..وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض**)) (12: 1-3).

* ومع أن الكنعانيين كانوا حينها في تلك الأرض، إلا أن الله أخبره أن هذه الأرض ستكون لنسله: ((**وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض. وظهر الرب لأبرام وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض**)) (12: 6-7).

* وحدَّد الرب بعبارة واضحة قالها لإبراهيم عليه السلام بيَّن فيها سبب دخول الجيل الرابع من بعض أحفاده إلى الأرض، وهي قوله: ((**وفي الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا، لأن ذنب الآموريين ليس إلى الآن كاملاً**)) (تكوين15: 16) ويتضح من هذه العبارة أن نسله سيتركون الأرض، ثم يعودون إليها فاتحين بعد أربعة أجيال حين يكفر أهل الأرض بالله عز وجل.

* ويتكرر الوعد ثانية مع نسل إسحاق عليه السلام[1] الذي عاش في الأرض بعد إبراهيم، يقول الرب: ((**تغرب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك، لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد، وأفي بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك**)) (26: 3).

* وكذا يتكرر الوعد مع نسل يعقوب عليه السلام: ((**والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق، لك أعطيها، ولنسلك من بعدك أعطي الأرض**)) (35: 12).

* ويخرج يعقوب عليه السلام –كما ذكرنا– إلى مصر حيث يوسف عليه السلام، وفي آخر حياة يوسف، يُذكّر قومه بهذا الوعد فيقول:

((**أنا أموت، ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي حلف لإبراهيم وإسحاق ويعقوب**)) (تكوين 50: 24).

---

[1] كما ذكر العهد القديم نبوءة أخرى عن تكثير ذرية إسماعيل عليه السلام، والذي سيكبر في فاران (مكة): ((**وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمّره وأكثره كثيراً جداً. اثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة**)) (تكوين17: 20)، ويسمي أبناء إسماعيل الإثني عشر ويصفهم بأنهم رؤساء لقبائلهم، ويكتفي بذلك (تكوين25: 12- 18).

* وفي عهد موسى عليه السلام يأتي زمن تحقق النبوءة؛ فبعد الخروج من مصر وإغراق فرعون يأمر موسى قومه بدخول الأرض لتطهيرها من الكفر، ويرسل الجواسيس لمعرفة قوة أهل الأرض، أخذاً بالأسباب، فرجعوا فقالوا: ((**هي أرضٌ تأكلُ سكانَها، وجميعُ الشعبُ الذي رأينا فيها أناسٌ طوالُ القامة، وقد رأينا هناك الجبابرةَ، فكنا في أعيننا كالجراد، وهكذا كنا في أعينهم**)) (العدد 13: 32 – 33).

فيخاف قومه القتال ويرهبون أهل الأرض، ويقولون: ((**ليتنا مُتنا في أرض مصر، أو ليتنا مُتنا في هذا القفر! ولماذا أتى بنا الربُّ إلى هذا الأرض لنسقطَ بالسيف؟ تصيرُ نساؤنا وأطفالنا غنيمة، أليس خيراً أن نرجع إلى مصر؟**)) (العدد 14: 2–3).

فيحكم الله عليهم بالتيه، ويحرمهم الدخول، باستثناء رجلين منهم استجابا لأمر موسى عليه السلام، ويعِدُ الربُّ الجيلَ القادم بالدخول بعد أن يُربَّوا على طاعة الله: ((**لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنَكم إياها، ما عدا كالبَ بن يُفُنَّة ويشوعَ بن نون، وأما أطفالكُم الذين قلتم يكونون غنيمةً فإني سأدخلهم، فيعرفون الأرض التي احتقرتموها، فجثَثُكم أنتم تسقط في هذا القفر، وبنوكم يكونون رعاةً في القفر أربعين سنة**)) (العدد 14: 30 – 33).

ويدخل يشوع بن نون عليه السلام الأرض، كما سبق وذكرنا في الحديث عن تاريخ اليهود، وتتم الفتوحات في عهده، وعهد من يليه داود وسليمان عليهما السلام. ويحدث انقسام اليهود والابتعاد عن منهج الرب بعد ذلك، ويعاقبهم الرب بالنفي والتشريد..

وفي كل هذه المراحل، أي من دخول إبراهيم عليه السلام إلى أرض فلسطين، ثم بعد دخولهم مع نبيهم يشوع بن نون؛ كان أهل الأرض فيها، ولم يبيدهم أحد، وإنما سار منهج الله فيهم كغيرهم من الشعوب فعندما يكونون على منهج الله وتزدهر مدينتهم بالإيمان يدخلها الأنبياء فارين بدينهم كإبراهيم ولوط عليهما السلام، وعندما يشركون بالله يدخلها الأنبياء فاتحين لها. فلا الوعد بالأرض لليهود أبدي، وليست لهم أرض خاصة بمعنى التمليك بالتوضيح السابق.

ويُصدِّقُ القرآن الكريم ببيانه العظيم ما كان بين موسى عليه السلام وقومه من مجريات الأحداث السابقة، فبعد أن يأمرهم موسى عليه السلام بتنفيذ أمر الله الذي كتبه لآبائهم بفتح الأرض ونشر الإيمان، وحذرهم من النكول: **{ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ}** [المائدة: 21]، ويسكت القرآن الكريم عن إرسال الجواسيس إلى الأرض، ولكن يظهر ذلك من إجابة قوم موسى لنبيهم: **{قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ}** [المائدة: 22].

ويُبرئ القرآن الكريم رجلين من الجواسيس[39] اللذين شجعا القوم على القتال: **{قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}** [المائدة: 23].

ولكن لم يفد نصحهم وكان ما ذكرته التوراة، فقال الشعب المتخاذل: **{قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}** [المائدة: 24].

وهنا يُظهر التنزيلُ الذي سَلِمَ من التحريف بأمر الله، قول موسى**: {قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}** [المائدة: 25][40].

فكان حكم الله ﷻ بحرمان ذلك الجيل من الدخول، وتيههم في ذلك الموضع أربعين سنة **{قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}** [المائدة: 26].

أما ما تلا ذلك من الدخول، فليس له ذكر في القرآن الكريم، وهذا ما اعتدنا عليه في منهج القرآن الكريم إذ يأتي بالقصص للعبرة، ولا يسردها كاملة. ولكنه يعود فيذكر تمليك طالوت عليهم، وظهور داود وسليمان فيهم، وهو ما ذكرناه في تاريخهم.

فنكوص بني إسرائيل عن الدخول زمن موسى عليه السلام، وخوفهم من قتال أهل الأرض حينها يكذِّب أي إدعاء يصورنه من أن الله عز وجل أعطاهم الأرض إرثاً أبدياً كما زعموا.

.. والحمد لله

---

[39] وهما بحسب التوراة: يشوع بن نون وكالب بن يفنة، العدد (14: 6-8).

[40] فموسى عليه السلام يتبرأ إلى الله ﷻ من فعل قومه، فهو لا يملك إلا أمر نفسه وأخيه والرجلين المؤمنين معه.. فيعذره الله ﷻ، ويتأخر فتح الأرض أربعين سنة، ويسكت القرآن الكريم عن حال موسى وأخيه هارون عليهما السلام اللذين يموتان قبل الفتح كما يظهر بعد ذلك.

لكن التوراة المحرفة تسيء لنبي الله موسى في هذا الموضع فتدعي أن الله ﷻ حرّم عليه دخول الأرض بذنب قومه (!):

(وعليّ أيضاً غضب الرب بسببكم قائلاً: وأنت أيضاً لا تدخلُ إلى هناك) (تثنية: 1: 37). ولولا القرآن الكريم لما عرفنا الباطل من الحق في التوراة، والحمد لله على نعمه.

الرسالات السماوية

* المسيحية

وفيهـا:

- تمهيد
- سبب التسمية
- نبذة تاريخية عن حياة المسيح عليه السلام، وتعاليمه
- الكتب المقدسة في المسيحية
- أثر بُولُس في تحريف المسيحية، وفيها:
  - خلاصة العقيدة المسيحية الجديدة
  - خلاصة ما أحدثه بولس في الديانة المسيحية كاملاً
  - أثر الفكر الوثني في عقيدة بولس
  - أسباب نجاح بولس في تكوين المسيحية الجديدة
- معارضة تلاميذ المسيح لبولس
- أثر المجامع المسكونية في إرساء المسيحية المحرَّفة
- أهم الكنائس المسيحية
- مفهوم الكنيسة، وتطوره عبر العصور
- الرَّهْبانيَّةُ في المسيحية
- المجموعات الموحدة من النصارى
- الحوار الإسلامي مع المسيحيين وغيرهم

تمهيد

المسيحية أو النصرانية هو الاسم الذي عُرِفت به آخر الرسالات السماوية قبل رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لقول المسيح عليه السلام: **(وإذ قال عيسى ابنُ مريم يا بني إسرائيل إني رسولُ الله إليكم مصدقاً لما بين يديَّ من التوراةِ ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمهُ أحمدُ فلمَّا جاءهم بالبيناتِ قالوا هذا سحرٌ مبينٌ)** [الصف: 6].

وقد جمعت هذه الآية القرآنية معانٍ كثيرة تلخص رسالة المسيح عليه السلام، منها:

* إن عيسى عليه السلام هو النبي الذي خُتمت به رسالاتُ بني إسرائيل، فهو رسول الله إليهم من بعد موسى ومن جاء بعده، وهو على ما يقولون من نسل داود عليه السلام من جهة أمه مريم عليها السلام.

* جاء مصدِّقاً لما أُنزل عليهم من التوراة، ولكنه جاء ليصوِّب ما أحدثوه من تغيير بسوء قصد منهم، أو بالخطأ؛ قال تعالى: **(ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون)** [الزخرف: 63]. وبيَّن في آيات أخرى أن الله اختصه بالإنجيل ليحقق مهمته هذه، قال تعالى: **(وآتيناه الإنجيلَ فيه هدىً ونورٌ ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدىً وموعظةً للمتقين)** [المائدة: 46].

* كما جاء مبشراً بالرسول الخاتم للنبوات، المحمود في الأرض والسماء، محمد عليه الصلاة والسلام.

* وتُبيِّن الآية أنه جاءهم بالبينات الدالات على نبوته كذلك، ومن تلك البينات ما تذكره الآيات الأخريات، كقوله تعالى: **(ورسولاً إلى بني إسرائيلَ أني قد جِئتُكم بآيةٍ من ربكم أني أَخلقُ لكم من الطينِ كهيئةِ الطيرِ فأنفخُ فيه فيكونُ طيراً بإذنِ اللهِ وأُبرِئُ الأكمهَ والأبرصَ وأُحيي الموتى بإذنِ اللهِ وأُنبئكم بما تأكلونَ وما تدخِرونَ في بيوتكم إنَّ في ذلكَ لآيةً لكم إنْ كنتم مؤمنين)** [آل عمران: 49].

* كما تُبيِّن الآية في ختامها حاله مع قومه؛ إذ رفض معظمهم دعوته وادعوا أنه ساحر أو كذاب وتمالؤا عليه حتى ارتضوا قتله، فنجاه الله منهم كما سياتي.

**** سبب التسمية:**

ما جاء به عيسى عليه السلام هو ما جاء به جميع الأنبياء من قبل عليهم صلوات الله **"الإسلام"** كما سبق وفصَّلنا، ولكنَّ رسالته عُرِفت بعد ذلك بالنصرانية أو المسيحية، وقد ذكر العلماء عدة أسباب لهذه التسمية، منها:

– سمي أتباع المسيح بالنصارى لأنهم نصروا المسيح عليه السلام: قال تعالى: **(فلمَّا أحسَ عيسى منهم الكفرَ قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحنُ أنصارُ اللهِ آمنا باللهِ واشهدْ بأنَّا مسلمون)** [آل عمران: 52].

وهم معظمهم من بني إســـرائيل ممن كان مؤمناً بما ســـبقه من أنبياء، قال تعالى: **(يا أيُّها الذين آمنوا كونوا أنصـارَ الله كما قالَ عيسـى ابنُ مريمَ للحواريين من أنصـاري إلى اللهِ قالَ الحواريونَ نحنُ أنصـارُ اللهِ فآمنت طائفةٌ من بني إسـرائيلَ وكفرت طائفةٌ فأيَّدنا الذين آمنوا على عدوِّهم فأصـبحوا ظاهرينَ)** [الصف: 14].

– أو أن النصـارى لفظة مشـتقة من قريتهم التي تسـمى "الناصـرة"، واليهود يعتقدون بأن المسـيح ولد فيها، بخلاف النصارى الذين قالوا بأنه ولد في بيت لحم، وإن كانت أمه من الناصرة.

– أو لأنهم تناصـروا فيما بينهم على دين المسـيح إيماناً ودعوة: قال تعالى: **(وإذ أوحيتُ إلى الحواريينَ أنْ آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنَّا واشهدْ بأنَّنا مسلمونَ)** [المائدة: 111].

– وقد سموا بالمسـيحيين نسـبة إلى عيسـى المسـيح عليه السـلام، قال تعالى: **(إذ قالتِ الملائكةُ يا مريمُ إنَّ اللهَ يبشـركِ بكلمةٍ منهُ اسمهُ المسـيحُ عيسـى ابنُ مريمَ وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين)** [آل عمران: 45]، ولقِّب عيسـى عليه السـلام بالمسـيح لأنه يمسـح ذا العاهة فيبرأ، أو لأنه ولد من بطن أمه ممسـوحاً بالزيت.

**** نبذة تاريخية عن حياة المسيح عليه السلام، وتعاليمه:**

عادة ما تشير الآيات القرآنية إلى المسيح عليه السلام بأنه عيسى ابن مريم، فتنسبه لامرأة، وهو أمر غير معهود، فالنسبة عادة للآباء، ولكن جاء ذلك الأمر للإشارة لإعجاز آخر في حياة المسيح عليه السلام وهو ولادته لأمه مريم البتول عليها السلام دون أن يمسها بشر؛ لذا فهو عيسى ابن مريم عليهما السلام.

وإن كانت قصة حمله عليه السلام معجزة بحد ذاتها لكن يسبقها إعجاز آخر؛ هو اختيار أمه البتول مريم عليها السلام من بين النساء؛ فهي الابنة الوحيدة لعائلة مباركة من بني إسرائيل تسمَّت السورة الثالثة في القرآن الكريم باسمها، وهي سورة آل عمران. وقد جاء في بركة هذه العائلة قوله تعالى: **(إن الله اصطفى آدمَ ونوحاً وآلَ إبراهيمَ وآلَ عمرانَ على العالمين* ذريةً بعضُها من بعضٍ والله سميعٌ عليمٌ)** [آل عمران: 33- 34].

ثم وضَّحت الآياتُ أنَّ امرأة عمران نذرت لله حملها: **(إذ قالت امرأةُ عمرانَ ربِّ إنِّي نذرتُ لكَ ما في بطني محرراً فتقبل مني إنكَ أنتَ السميعُ العليمُ)** [آل عمران: 35]. وتوضح المصادر الكتابية أنها رزقت بهذا الحمل بعد عقم طويل، ولعله جاء بعد دعاء وانتظار، فأرادت أن تجعل هذا المولود محرراً خالصاً لخدمة بيت الله (بيت المقدس)، وهذا الفعل كان معروفاً حينها، لكن كانت الهبة تحدث عادة بعد ولادة المولود الذكر، فلما نذرت هي قبل الحمل ثم حملت، فوضعت، قال تعالى: **(فلمَّا وضعتها قالت ربِّ إني وضعتُها أُنثى واللهُ أعلمُ بما وضَعَتْ وليس الذكرُ كالأنثى وإني سمَّيتها مريمَ وإني أعيدها بك وذريَّتها من الشيطانِ الرجيمِ)** [آل عمران: 36]، فكانت إرادة الله السابقة قبولها أُنثى محررة لبيت الله لتهيئتها لما خُلقت له من أمر جلل، قال تعالى: **(فتقبَّلها ربُّها بقَبولٍ حسنٍ وأنبتها نباتاً حسناً وكفَّلها زكريا)** [آل عمران: 37].

وتكبر مريم عليها السلام في بيت المقدس في كفالة زكريا عليه السلام: وكان **(كلمَّا دخلَ عليها زكريا المحرابَ وجدَ عندَها رزقاً قال يا مريمُ أنَّى لكِ هذا قالت هو من عندِ الله إنَّ اللهَ يرزقُ من يشاءُ بغيرِ حسابٍ)** [آل عمران: 37].

وكان هذا الأمر المعجز أيضاً محرِّضاً لزكريَّا عليه السلام على طلب الذرية الصالحة من الله عز وجل، على الرغم من شيخوخته وعقم امرأته، قال تعالى: **(هنالكَ دعا زكريا ربَّهُ قال ربِّ هَبْ لي من لدُنْكَ ذريةً طيبةً إنك سميعُ الدعاءِ)** [آل عمران: 38].

فبشَّره الله تعالى بيحيى عليه السلام، قال تعالى: **(فنادتْهُ الملائكةُ وهو قائمٌ يصلي في المحرابِ أنَّ الله يبشِرُكَ بيَحْيَى مصدقاً بكلمةٍ من اللهِ وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحينَ)** [آل عمران: 39].

وتكون معجزة حمل زوجة سيدنا زكريا عليه السلام تمهيداً لحمل السيدة مريم عليها السلام المعجز وتبشيراً به؛ فيحيى عليه السلام سيصدق **كلمة الله** عيسى عليه السلام كما ذكرت الآية، فجاء التبشير لمريم عليها السلام بالحمل فيما بعد، ولما شكَّت بالأمر واستغربته قيل لها إن زوجة زكريا حملت كذلك

رغم عقمها، فذهبت لتتأكد، وهدأت نفسها لذلك، وقد كان بين النبيين يحيى وعيسى عليهما السلام في الحمل بضعة أشهر[41].

وقد قال تعالى مبشراً مريم عليها السلام بالاصطفاء والتطهير أولاً: **(وإذ قالت الملائكةُ يا مريمُ إنَّ اللهَ اصطفاكِ وطهَّركِ واصطفاكِ على نساءِ العالمين* يا مريمُ اقْنُتي لربّكِ واسجدي واركعي مع الراكعين)** [آل عمران: 42- 43]، ثم التبشير بالحمل بعد ذلك: **(إذ قالتِ الملائكةُ يا مريمُ إنَّ اللهَ يبشّرُكِ بكلمةٍ منهُ اسمهُ المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين* ويكلّمُ النَّاسَ في المهدِ وكهلاً ومن الصالحين)** [آل عمران: 45- 46].

وتوضح الآية الأخيرة معجزة جديدة لعيسى عليه السلام هي **كلامه في المهد**، والتي انفرد بذكرها القرآن الكريم، وكانت الغاية من ذلك هي دفاع عيسى عليه السلام عن والدته عندما ستأتي به قومها، فينكرون حالها، وقد ورد ذكر الأمر في سورة حملت اسم **مريم**، وهذا من مزيد التكريم لها، قال تعالى ناقلاً ما دار بينها وبين قومها: **(فأتَتْ به قومَها تحمِلُهُ قالوا يا مريمُ لقد جئتِ شيئاً فريّاً * يا أُختَ هارونَ ما كان أبوكِ امرأ سَوءٍ وما كانت أمكِ بغيّاً * فأشارت إليهِ قالوا كيفَ نكلمُ من كانَ في المهدِ صبيّاً * قال إنّي عبدُ الله آتانيَ الكتابَ وجعلني نبيّاً * وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دُمْتُ حيّاً * وبَرّاً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيّاً * والسَّلام عليَّ يومَ ولدتُ ويومَ أموتُ ويومَ أُبعثُ حيّاً)** [مريم: 27- 33].

حملت كلمات المسيح عليه السلام في المهد تبشيراً بنبوته وكتابه، ولكنَّه لاقى استكباراً من قومه، فهربت به أمه إلى مصر، كما في المصادر الكتابية، لسنوات ثم عادت به بعد ذلك. ولما كبر وبُعث بينهم، وهو في الثلاثين من عمره أو أكثر بقليل كما يقولون، ودعاهم إلى العودة للدين الصحيح؛ مقتوه وعادوه، ومكروا به لقتله إلا فئة قليلة آمنت به واتبعته.

وكان مما دعاهم إليه:

* العودة إلى الأخذ بصحيح التوراة ونبذ ما أحدثوه، كتقديس السبت بتحريم العمل فيه، وهو مما لم يؤمروا به، فكان يقول: **(السبتُ إنَّما جُعل لأجل الإنسان، لا الإنسانُ لأجل السبت)** [مرقس 2: 27]. حَتَّى لقد امتَنَعوا يَوْماً عن محاربةِ (انطونيوس الرّابع) وتَرَكوهُ يدخلُ مَدينتَهم يَوْمَ السَّبْتِ لئلَّا يمسّوا السِّلاحَ في ذَلِكَ اليَوْمِ، فكانَ المَسيْحُ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ يأْخُذُ بالكِتابِ المُقَدَّسِ ولَكِنَّهُ يعلِّمُ النَّاسَ التَّبصُّرَ بِما فيهِ، ويمنعهم عَنْ التَّوغُّلِ فيما يُخالِفُه.

* الإيمان بالله كما يجب، وإصلاح النفس، وعمل الصالحات، وأنهم لن يحوزوا على مرضاة الله دون ذلك، وكان مما يقول: **(ليس أحدٌ صالحاً إلا واحدٌ وهو الله، ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا)** [متى 19: 17] فمن يبتغي الصلاح فعليه أن ينفذ الوصايا التي سبق وجاء بها موسى عليه

---

(41) انظر تفصيل الأحداث في إنجيل لوقا [1: 5- 45].

السلام [متى 19: 18- 19]، وهذا يعني ردَّ اليهود عمَّا وصلوا إليه من المغالاة في أنفسهم، وأنهم شعب الله المختار، وتكذيبهم في دعواهم تلك.

* تبشيرُه بمجيءِ مَلَكوتِ اللهِ، وفَهِمَ اليَهودُ منْ هَذِهِ الدَّعْوَة أَنَّ هناك مُلْكاً وعَرْشاً يسعى إليه، أَمّا هوَ فَقَدْ كانَ يقصِدُ بمَلَكوتِ اللهِ أن يتولى السَّلامَ والصَّفاءَ التَّام قلوبهم، ورفعَ الاختلافِ بيْـــنَ النَّاسِ، فكان يقول: **(الحق أقول لكم: إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات)** [متى 18: 3] فشـــبَّه حالة الصـــفاء التام بأن يحملوا قلوباً نقية كقلوب الأطفال، فظهر تركيزه على العمل لإصـــلاح النفوس، ولم يسـعَ لملك وسـيطرة، أما هم فكانوا ينتظرون الماشـيح المخلِّص الذي يعادي الناس لأجلهم ويقاتلهم ليبني لليهود ملكاً أبدياً.

فلمَّا يئس اليهود من موافقة المسيح لهم، ورأوا في دعوته فضحاً لكذبهم، وكشفاً لتدليسهم في دينهم، وكانوا يعيشـــون تحت حكم الرومان وســـيطرتهم؛ كادوا المكائد للتخلص منه عند الحاكم الروماني، لكن الرومان لم يقلقهم وجوده أولاً، إذ كانوا يرون عدم التدخل في القضايا الدينية بين اليهود. فلمَّا أعيى اليهود الأمر اختلقوا الأكاذيب بأنه يعادي الحاكم الروماني، ونجحوا أخيراً باسـتصـدار أمرٍ بقتله، ثم سـارعوا إلى تنفيذه، فقتلوه مصـــلوباً، كما يزعمون، ثم بعد أن أنزلوه في قبره، قام من موته، ورآه بعض أتباعه، ثم رُفع إلى السماء[42].

ونكتفي هنا بختم هذه السـيرة القصـيرة لحياة المسـيح عليه السـلام ببيان القرآن الكريم في مخالفتهم في ذلك، وإثبات أنهم لم يقتلوه أو يصـــلبوه، بل رفعه الله إليه، وهي معجزة أخرى تضـــاف لمعجزاته عليه السلام، قال تعالى: **(وقولهم إنَّا قتلنا المسيحَ عيسى ابن مريمَ رسولَ اللهِ وما قتلوه وما صلبوهُ ولكن شُبِّه لهم وإنَّ الذين اختلفوا فيه لفي شـكٍ منهُ وما قتلوه يقيناً بل رفعهُ اللهُ إليهِ وكان اللهُ عزيزاً حكيماً)** [النسـاء: 157].

ولأنه رُفع ولم يمت بعد، فهو سـيعود إلى الأرض في آخر الزمان فيحكم بشـــريعة المســـلمين، ويقتل المســـيح الدجال، ويموت كما يشـــاء الله تعالى، ويأتي تأكيد هذا الأمر بدلالة بعض ما ســـبق ذكره من آيات، كقوله تعالى على لســـان المســـيح: **(والسَّـــلام عليَّ يومَ ولدتُ ويومَ أموتُ ويومَ أُبعثُ حيًّا)** [مريم: 33]، وهو لم يمت بعد. وكقوله تعالى: **(ويكلِّمُ النَّاسَ في المهدِ وكهلاً ومن الصـــالحين)** [آل عمران: 46]، وقد كلَّم الناس في المهد، ولم يكلمهم كهلاً بعد.

ويرى المسـلمون أنه سـيكون من علامات السـاعة حين نزوله عليه السـلام، وسـيؤمن به من يراه من أهل الكتاب حينها الإيمانَ الحق البعيد عما أصـاب رسـالته من تحريف بعد رفعه، مما سـنأتي على ذكره،

---

[42] كما يرد في روايات الأناجيل، على اختلاف فيما بينهم في التفاصيل.

قال تعالى: **(وإنْ منْ أهلِ الكتابِ إلا ليؤمِنَنَّ به قبلَ موتهِ ويومَ القيامةِ يكون عليهم شـــهيداً)** [النســـاء: 159].

** الكتب المقدسة في المسيحية:

يؤمن المسيحيون بالكتاب المقدس (The Holy Bible) ذي العهدين القديم والجديد:

أولاً: العهد القديم: (Old Testament) وهو الذي يدين به اليهود، وتقدم الكلام عنه في فصل اليهودية بنسخه وأسفاره المتعددة، وهو لم يكن معروفاً عند اليهود بالعهد القديم، كما سبق ووضحنا تفصيلاً، وإنما يُعدُّ **بولس**[43] هو أول من أطلق لفظ العهد القديم على أسفار اليهود المختلفة وذلك عند قوله في رسالته الى أهل كورنثوس: **(عند قراءة العهد العتيق)**[44] وهو يشير بذلك إلى أنه العهد الذي أتى به موسى عليه السلام وصار قديماً، لكنَّه تراثٌ ثمينٌ عتيقٌ يؤمنون به جملة، ويقدّمون عليه العهد الجديد.

ثانياً: العهد الجديد: (New Testament) وهو جملة من الكتب المقدسة أقرها علماء النصارى في القرن الخامس الميلادي من بين عشرات الكتب الأخرى المماثلة لديهم. ويتكون من 27 سفراً، وتعد المرجع الأساسي الجازم للإيمان المسيحي، وينقسم العهد الجديد إلى **مجموعات أربعة**، وهي:

الأولى: الأناجيل الأربعة: إنجيل متى، إنجيل مرقس، إنجيل لوقا، إنجيل يوحنا.

الثانية: أعمال الرسل؛ وهو سفر واحد يُنسب إلى لوقا صاحب الإنجيل الثالث.

الثالثة: الرسائل المقدسة وهي 21 رسالة، وتقسم الى قسمين: منها 14 رسالة كتبها بولس، وهي تشكل ثلث العهد الجديد، وهي مسرفة في ذكر التفاصيل الفرعية والاحتفاء بجزئيات الأحداث والوقائع التي جرت مع بولس في أسفاره ودعوته. والرسائل السبعة الباقية ويطلق عليها الرسائل الكاثوليكية. وهذه قائمه تفصيلية بأسماء الرسائل المقدسة:

رسائل بولس، وهي: رسالته إلى أهل رومية، رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس، رسالته إلى أهل غلاطية، رسالته إلى أهل أفسس، رسالته إلى أهل فيلبي، رسالته إلى أهل كولوسي، رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي، رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكي، رسالته الأولى إلى تيموثاوس، رسالته الثانية إلى تيموثاوس، رسالته إلى تيطس، رسالته إلى فليمون، رسالته إلى العبرانيين.

أما الرسائل الكاثوليكية، فهي: رسالة يعقوب، رسالة بطرس الأولى، رسالة بطرس الثانية، رسالة يوحنا الأولى، رسالة يوحنا الثانية، رسالة يوحنا الثالثة، رسالة يهوذا.

الرابعة: سفر رؤيا يوحنا، ويطلق عليه كذلك مشاهدات يوحنا.

---

[43] سيأتي الحديث عنه تفصيلاً.

[44] رسالة بولس إلى أهل كورنثوس2: (3: 14).

ويلاحظ في التقسيم السابق أنه لا يوجد إنجيل يسمى بإنجيل عيسى عليه السلام، بل الذي نجده أربعة أناجيل كتبها أربعة من تلاميذ وأتباع السيد المسيح عليه السلام. والناظر فيها يجد أن فيها ترجمة لحياة المسيح عليه السلام وأقواله وأفعاله، وانتهاء حياته.

على أن النصارى يدَّعون أنه ليس من إنجيل أُنزِل على المسيح عليه السلام، وكل ما يعترفون به أنَّ أقواله وأفعاله قد سجَّلها أصحابه بعد وفاته بإلهام صحيح، ولذا فهي صحيحة. هذا ما يدَّعون، غير أن هنالك إشارات في الأناجيل التي يعترفون بها تدل على أن المسيح كان يتكلم عن إنجيل، كقوله: (**قد كَمَلَ الزمانُ واقتربَ ملكوتُ الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل**) [إنجيل مرقس1: 15]. بينما هم يؤلون هذه الكلمة حال مرورها على معناها اللغوي أي البشارة. فإنجيل كلمة يونانية، وتعني البشارة. ولكن لا يمكن صرف اللفظ في كل المواضع كما يظهر.

ويأخذ مؤرخو الأديان بوجود هذا الإنجيل ويسمونه بالأصل أو الوثيقة Q [45] ويستنبطون وجوده مما يظهر من اتفاق بين بعض أقوال المسيح وأعماله كما تظهر في الأناجيل الثلاثة خاصة (متى ومرقص ولوقا) وأن هذه الاناجيل كلها ترجع إلى مصدر واحد. أما الإنجيل الرابع يوحنا فقد ظهر بعد الأناجيل الثلاثة، وفيه زيادة وهي الحديث عن ألوهية المسيح التي يؤمن بها المسيحيون اليوم، وسيأتي شرح هذه العقيدة لاحقاً.

---

[45] الوثيقة Q: مأخوذة من كلمة ألمانية هي (Quelle) وتعني مصدر؛ ويشيرون بها إلى نص مفقود افتُرض وجوده كأحد مصادر الأناجيل الثلاثة المذكورة.

** أثر بُولُس في تحريف المسيحية:

ظهر في السرد السابق للكتب المقدسة المسيحية وجود 14 رسالة تُنسب لبولس، مما يدل على أهميته في الديانة المسيحية بعد المسيح. فمن هو الرجل، وما دوره في تغيير المسيحية؟

ولد بُولُس في مدينة طرسوس وهي جنوب آسيا الصغرى أو تركيا حالياً، بين السنة الخامسة والخامسة عشرة للميلاد، وكان اسمه أول أمره (شاؤل)، نشأ في كنف أسرة يهودية، وكان مواطناً رومانياً، ذهب فيما بعد إلى أورشليم لدراسة الدين اليهودي، والتحق بمدرسة (جمالئيل) وهو من أشهر المعلمين الفريسيين في أورشليم، فصار فريسياً متطرفاً.

لم يرَ المسيح في حياته كلها، لكنه عمل على محاربة المسيحية الناشئة بدعوى أنها فرقة يهودية ضالة تهدد الديانة اليهودية الرسمية.

وبقي كذلك إلى أن تعرض لأمر حصل معه -كما ذَكَرَ- بعد رفع المسيح عليه السلام، أدى إلى تنصُّره؛ فعندما توجه ذات يوم تلقاء دمشق، وفي الطريق لمح نوراً في السماء فوقع على الأرض. وسمع صوتاً بالعبرية يقول له: شاؤل، شاؤل، لماذا تضطهدني؟ وعندما سأل عن مصدر الصوت، ومن هو، فقال له: أنا يسوع الذي تضطهده. ثم أخبره بأنه اختاره لخدمته والتبشير به[46].

بعد هذه الحادثة تسمَّى باسم بُولُس، وصار مسيحياً رسولاً إلى الأمم يبشرهم باسم المسيح، ولكنَّه دعا إلى مسيحية أخرى غير التي أتى بها السيد المسيح عليه السلام، مسيحية غيَّرت نظرة العالم إلى موت المسيح وصلبه، كما يزعمون، فصنع منها لاهوتاً جديداً هو الإيمان المسيحي في صورته المعروفة حالياً.

أما خلاصة العقيدة المسيحية الجديدة فهي:

أن آدم عليه السلام، الإنسان الأول، عصى ربه في الجنة بأكله من الشجرة، فأخرجه الله من جنته بعد خطيئته هذه. وأورثَ آدمُ الخطأ لبني جنسه جميعهم، فما زالوا يخطئون. ثم أراد الله أن ينقذ البشرية من ذلك الخطأ؛ فأرسل ابنه الذي تشكل بصورة يسوع المسيح عليه السلام، والذي لم يقترف خطأً في حياته، باعتبار الجانب الإلهي فيه، ثم تعرض للصلب والقتل بأيدي اليهود. فكان ما أصابه من ألم تكفيراً

---

[46] تُذكر هذه الحادثة بثلاث روايات مختلفة في سفر أعمال الرسل: (9: 3- 7)، (22: 6- 10)، (26: 13- 18). وتأتي الإشارة إليها في رسالته إلى أهل غلاطية (1: 15- 16).

عن ذنب آدم عليه السلام[47]، وإنقاذاً لكل البشر من تبعات ذلك الإثم[48]. ولهذا لا يكمل إيمان أي إنسان إلا بإيمانه بيسوع المسيح الفادي للبشر.

تشكَّلت هذه العقيدة، والتي صار يطلق عليها فيما بعد **(عقيدة الصلب والفداء)**، بدايةً مع بولس، وانتشرت وتكاملت أركانها بعد وفاته، لأنه مات مصلوباً بعد جلوس الحاكم الروماني الطاغية نيرون عام 68م، الذي قضى على كثيرين من أتباع المسيحية في وقته.

وتُعدُّ رسائل بولس التي كتبها قبل وفاته ما بين (50- 61)م من أوائل ما كتب في المسيحية، فهي تسبق الأناجيل أيضاً، فكان تأثيرها على فكر كُتَّاب الأناجيل واضحاً، ولاسيما فيما سطَّروه عن نهاية المسيح، كما يرى النقَّاد، كما في الأناجيل الثلاثة (متى ومرقس ولوقا) والتي ظهرت ما بين (65- 85)م[49]. أما الإشارة إلى ألوهية المسيح، ولو بالرمز، فلم ترد إلا في إنجيل يوحنا المتأخر في ظهوره إلى ما بين (100- 120)م، والذي يرى النقَّاد أنه أُلِّفَ لهذا الغرض.

وخلاصة ما أحدثه بولس في الديانة المسيحية كاملاً، هو ما يأتي:

1- نَقْلَها من التوحيد إلى المسيحية المثلثة.

2- دعا إلى ألوهية المسيح، وإلى ألوهية الروح القدس أيضاً.

3- أصَّل فداء المسيح تكفيراً عن خطيئة البشر.

4- جعل يوم الأحد مقدساً في المسيحية، بدعوى أن المسيح قام فيه من القبر، بدلاً من يوم السبت الذي كان مقدساً عند اليهود.

5- جعل التشريع حقاً للرؤساء والروحانيين، الذين يلهمهم الروح القدس (الأقنوم الثالث)، بعد أن كان التشريع للأنبياء والرسل فقط، ونتيجة لذلك تقرَّرت عصمة (البابا).

6- أعلن أن التوراة هي (العهد العتيق)، تمهيداً لنسخها وإدخال الأثر الوثني في المسيحية، وذاك أن التوراة كانت حائلاً قوياً دون تغييراته، كما أعلن **للوثنيين** أن الإيمان بالمسيح وحده يكفيهم، فالتبرر[50] بالإيمان، وليس بالعمل كما كان معهوداً.

والفكرة الأخيرة ستنقلنا إلى إبراز **أثر الفكر الوثني في عقيدة بولس** السابقة:

---

[47] أما في القرآن الكريم فتظهر توبة آدم عليه السلام وزوجه جليَّة ، كقوله تعالى: **(قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين)** [الأعراف: 23]. وقبولها من الله تعالى: **(ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى)** [طه: 122].

[48] فمثلاً يقول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (15: 3): **(فإني سلَّمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً: أنَّ المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب)**.

[49] وإنجيل مرقس هو الأقدم، ظهر ما بين (65- 75)م، ثم إنجيلي متى ولوقا من 80م وما بعدها..

[50] أي أن يصير الإنسان مبرراً، أو بريئاً من ذنوبه، بالإيمان بالمسيح مصلوباً، وأنه افتدى البشر بذلك.

نشأ بولس في طرسوس، كما مر، وقد اشتهرت البيئة المحيطة بها بكثرة الآلهة، وأهم الآلهة الموجودة هي "**أدونيس** في بلاد الشام، **وتموز** في بلاد ما بين النهرين، **وأزوريس** في مصر، **ومثرا** في فارس" أما طرسوس فكانت مركزاً لعبادة إله الزراعة **ساندان**.

والتصور المشترك الذي يجمع تلك الآلهة هو موتها في مواسم معينة من السنة ثم بعثُها في مواسم أُخر. والإله يتعذب كما يتعذب الإنسان، ثم يموت، ثم يتغلب على الموت ويُبعث من جديد ليُظهِرَ مجده وقوته. والأتباع يذبحون الأضاحي ويشربون معها الخمر، ويتحول اللحم إلى لحم الإله، والخمر إلى دمه، ليتم الاتحاد بينهم وبين معبودهم فيُطَهِرهم من الخطيئة.

هذه العقيدة التي تقوم على موت الإله وقيامته، وفدائه للبشر، هو الجديد الذي أدخله بولس لرسالة المسيح عليه السلام، ولم يكن فيها شيء من ذلك.

أما **أسباب نجاح بولس في تكوين المسيحية الجديدة**، فتعود لصفاته الشخصية، وطبيعة دعوته، والظروف المحيطة:

* لدى بولس استعداد شخصي لقبول هذه الأفكار الفلسفية، والعقائد الوثنية؛ فهو يهودي بالوراثة والدراسة، ولكنه يوناني الثقافة والتفكير، روماني الجنسية.

* أوتي من الصفات الشخصية والخُلقية ما جعله يتعامل مع الجوانب المتناقضة باقتدار. فيظهر في كلامه ما يدل على حبة للمراوغة، والتقلب حسب الأحوال، يقول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: **(صِرْتُ لليهودي كيهودي لأربح اليهود، وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس، وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس –مع أني لست بلا ناموس لله، بل تحت ناموس للمسيح– لأربح الذين بلا ناموس. صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء. صرت للكل كلَّ شيء لأُخَلِّص على كلِ حالٍ قوماً)** [9: 20- 22].

* استغل الاضطراب الحاصل بعد القبض على المسيح، وغياب تلاميذه عنه، وما شاع من صلبه، ثم قيامته فيما بعد. فوجد في الخلاف الحاصل البيئة المناسبة لبناء فكرته الجديدة.

* لاقت فكرته عن تأليه المسيح القبول بين الوثنيين ممن حوله، لمشابهتها لما عايشوه من العقائد، فلم يجدوا صعوبة في اعتناق المسيحية الجديدة، فكثُر أتباعه.

* وبالمقابل لاقت دعوة تلاميذ المسيح الأصلاء الاضطهاد البشع من الحكم الروماني وأتباعه، باعتبارهم مستعلين بفكرتهم التوحيدية، وكذا بسبب عناد اليهود وتكذيبهم، فكانوا يُقتلون، وتضعف شوكتهم تدريجياً أمام المسيحية الجديدة.

* دعوته أن التبرر يكفي بالإيمان بالمسيح مصلوباً فقط، ولا عبرة بالأعمال الصالحة؛ جعلت التدين أمراً سهلاً، وهو أخف بكثير من متطلبات الإيمان الذي تنادي به الرسالات السماوية، ويقتضي التضحية بكل شيء في سبيله.

* لعلَّ بولس يرى فكرته وإن لم تكن حقيقة، فهي تزيد مجد الله، كما زعم، فبدلاً من النبي المصلوب المهان خلق فكرة الإله الفادي بدمه للبشر. فلعلَّه لا يرى حرجاً في الكذب لتحقيق تلك الغاية، وهو يقول في رسالته إلى أهل رومية: (**فإنَّه إن كان صِدْقُ الله قدِ ازدادَ بكذبي لمجده، فلماذا أُدانُ أنا بعدُ كخاطئ؟**) [3: 7].

ولهذا فقد اختلفت الآراء حول شخصيته:

لا شك أن بولس يعد أهم شخصية في المسيحية المتطورة بعد عيسى عليه السلام، وقد عُرِّف كأبرز مُبَشِّرٍ بالمسيحية في آسيا الصغرى وأوروبا. وكان له كثير من الأتباع والخصوم؛ كما يظهر جلياً في رسائله التي سطَّرَ فيها صراعه مع الناس ليثبت لهم شرعية ومصداقية عمله رسولاً للمسيح عليه السلام.

من أجل ذلك يمتدحه المادحون فيرونه رسولاً هادياً متعه الله بنعمة خاصة جعلت منه أهم مفسر لحياة المسيح وأعماله. وينتقده الناقدون فيرونه المسؤول الأول عن تبديل مسيحية عيسى عليه السلام وتبديلها وتحريفها، وتحويلها من ديانة إسرائيلية إلى ديانة أممية عالمية.

إن أنصار بولس وخصومه وإن اختلفوا من كل وجه، فإنهم يتفقون على أمر واحد؛ وهو أن المسيحية الراهنة هي مسيحية بولس، وأن نسبتها الحقيقية إليه، فهو الذي صمم هذه الملة ووضع أسسها وقواعدها.

**** معارضة تلاميذ المسيح لبولس:**

إن نجاح بولس السابق **لا يعني نجاحه بين أتباع المسيح الأولين،** ممن عرفوا المسيح عن قرب، فحافظوا على دعوته كما جاء بها. وتنقل أســـفار العهد الجديد جملة من خلافات بولس معهم، وهذا يدل على بطلان ما أتى به، ومن ذلك:

* يعترف بولس أنه لم يتابع رسل المسيح فيما أحدثه، ولم يعرض عليهم فكره، بل لم يعمل على اللقاء بهم في أورشليم إلا بعد ثلاث سنوات من تَنَصُره، يقول: **(ولكن لـــمَّا سَرَّ الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته، أن يعلن ابنه فيَّ لأبشـر به بين الأمم، للوقت لم أستشـر لحماً ولا دماً، ولا صـعدت إلى أورشليم، إلى الرسل الذين قبلي، بل انطلقت إلى العربية، ثم رجعت أيضاً إلى دمشق. ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس)** [رسالة بولس إلى أهل غلاطية 1: 15- 18].

* ويذكر لوقا في سـفر أعمال الرسـل محاولة بولس التقرب للتلاميذ عند زيارته أورشـليم بعد تَنَصُـره، وخوف التلاميذ منه، يقول: **(ولـــمَّا جاء شـاؤل إلى أورشـليم حاول أن يلتصـق بالتلاميذ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ)** [أعمال الرسل 9: 26].

* ويذكر لوقا أن برنابا وهو أحد التلاميذ (الرسـل) الصـالحين[51]، وقد صـاحب بولس مدة، ما لبث أن تشـاجر معه، وافترقا بعد أن تبين أن لكل منهما آراءه الخاصـة في التعاليم المسـيحية، والدعوة إليها، يقول لوقا: **(فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر)** [أعمال الرسل 15: 39].

*كما أن يعقوب، وهو من التلاميذ المقربين للمسـيح، عارض فكرة بولس بأن الإنسـان يبرر بالإيمان فقط، فكتب يردُّ ويعلم دون أن يشـير إلى بولس صـراحة: **(هكذا الإيمان أيضـاً إن لم يكن له أعمالٌ ميّتٌ في ذاته.. أنت تؤمن أن الله واحد. حسـناً تفعل. والشـياطينُ يؤمنون ويقشـعِرُّون!.. ألم يتبرر إبراهيمُ أبونا بالأعمال، إذ قدَّم إســحاقَ[52] ابنَهُ على المذبح؟ فترى أنَّ الإيمانَ عَمِلَ مع أعماله، وبالأعمال أُكمل الإيمان)** [رسالة يعقوب 2: 17، 19، 21- 22].

---

[51] جاء في [سفر أعمال الرسل 11: 24] في وصف برنابا **(لأنه كان رجلاً صالحاً ممتلئاً من الروح القدس والإيمان).**

[52] من أقوى الأدلة القرآنية على أن إسماعيل عليه السلام هو الذي قُدِّمَ للذبح، ترتيب الآيات في سورة الصافات التي ذكرت ما حصل مع المُقدَّم للذبح، المُبشَر به، الغلام الحليم. ثم بشَّرَت بإسحاق عليه السلام نبياً من الصالحين، انظر الآيات من [100- 113]. وأن إسحاق عليه السلام قد بُشر بنبوته، وهذا دليل على بلوغه ثم بعثته مستقبلاً، ولا يكون الابتلاء بالذبح مقنعاً بعد ذلك. بل جاء في موضع آخر التبشير به وبذريته بآن واحد، وهذا دليل آخر على طول بقائه، قال تعالى: **(فبشرناها بإسحاقَ ومن وراء إسحاقَ يعقوبَ)** [هود 71]. ثم إن التوراة تقول أن الله خاطب إبراهيم في هذا الابتلاء بقوله **(خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إســحاق..)** [التكوين 22: 2]، وكيف يكون وحيده، وقد سـبق وأنجب إسماعيل كما يعترفون؟

**** أثر المجامع المسكونية في إرساء المسيحية المحرَّفة:**

بعد أن أخذ كثير من الناس بعقيدة بولس، ومع مرور السنين، ظهر الجدل المسيحي حول ماهية المسيح، وهل هو إله كامل، أم إله وإنسان؟ وهل صُلب الإله أم الإنسان؟ أم كلاهما معاً؟ وهل ولدت العذراء الإله أم الإنسان؟ وهل الآلهة واحد أم أكثر؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي أشعلت الخلاف في المجتمع المسيحي، علاوة على وجود المعارضين لهذا كله.

وكان الأمر ليبقى شأناً داخلياً لولا إعلان الإمبراطور الروماني قسطنطين عام 293م منشوراً عُرف بـ (منشور ميلان) عدَّ فيه إلهَ المسيحية بمصاف الآلهة الرومانية الأخرى، فحلَّ إلههم مع غيره، وسُمح لهم بممارسة دينهم علناً بعد أن كانوا يُضطهدون بشدة من الحكام قبله. وجاء هذا الاعتراف من قسطنطين [53] رغبةً في رضا الآلهة قبل مسيره في حرب ضروس، كما كان اعتناق أمه للمسيحية مقوياً لذلك.

ولهذا عندما اشتد الخلاف بين المسيحيين دعا الإمبراطور قسطنطين إلى عقد اجتماع عام شامل دعا إليه علماء المسيحية وأساقفتهم من جميع أنحاء العالم ليبحثوا مقالتهم، فكان المجمع المسكوني الأول:

- مجمع نيقية [54] 325م:

عُقد هذا المجمع ليحسم الخلاف حول ألوهية المسيح، حيث كانت كنيسة الإسكندرية تنادي بألوهية المسيح حسب تعاليم بولس، بينما كان **آريوس** وهو أسقف الإسكندرية وعالمها ينادي بإفراد الله بالألوهية، ويقول (إذا كان المسيح ابن الله[55]، فهو دون الله وفوق البشر).

وقد حضر هذا المجمع 2048 أسقفاً، فأجمع 1730 منهم على مقالة أريوس، لكن **أثناسيوس** الذي كان شمَّاساً بكنيسة الإسكندرية أراد أن يتقرب إلى قسطنطين فأعلنَ المسيحَ إلهاً متجسداً، وتبعه في ذلك الرأي 318 عضواً. فمال قسطنطين الذي كان ما يزال على وثنيته إلى رأي أثناسيوس.

أُصدِرَ القرار النهائي للمجمع بإقرار ألوهية المسيح؛ فهو إله وإنسان بآن معاً، وفُرِضت هذه العقيدة على المسيحيين قاطبة، وطُرِد المعارضين من الكنيسة وعلى رأسهم آريوس. ومُنع الناس من تداول الكتب المقدسة، وأُحرقت الكتب المخالفة لهذه العقيدة تدريجياً.

ولعلنا نجد في ذلك تعليلاً لعدم وجود حكمة واحدة أو وحي أو أية رسالة مرفوعة إلى المسيح بلغته الخاصة، ويتحمل مجمع نيقية المسؤولية في ضياع المسيحية الحقة رسمياً إلى الأبد.

ثم تتالت المجامع الأخرى مع كل جدل يظهر، ومنها:

---

[53] توفي الإمبراطور قسطنطين عام 337م، وتنقل المصادر أنه عاد لمقولة آريوس قبل موته، ولكنه لم يتمكن من تثبيت عقيدة التوحيد بقوة.

[54] وهي مدينة إزنيك الحالية في تركيا.

[55] المراد بالبنوة لله هنا: أي بالرتبة، على عادة الكتاب المقدس في إطلاق هذا اللفظ على الصالحين، وهو كثير.

- مجمع قسطنطينية[56] الأول 381م:

عُقد هذا المجمع لحسم الخلاف حول الروح القدس، فقد كان الراهب **مقدونيوس** من أبرز القائلين بأنه مخلوق، في حين وجِدت أصوات تنادي بألوهيته؛ فقرَرَ المجمعُ ألوهيته، ولُعِن المخالفين.

وبهذا استقرت عقيدة التأليه والتثليث. فالآب الإله (خالق السماوات والأرض)، والابن الرب (يسوع المسيح)، والروح القدس الرب؛ كيان واحد في ثلاثة أقانيم، وحدية في تثليث، وتثليث في وحدية.

- مجمع أفسس الأول 431م:

ولادة المسيح عليه السلام من مريم عليها السلام، أثارت بعد إثبات ألوهيته جدلاً آخر مفاده: إذا كان المسيح إلهاً، فماذا ولدت العذراء عليها السلام الإله أم الإنسان؟

خرج بطريرك القسطنطينية **نُسطور** برأي مفاده أن للمسيح طبيعتين؛ لاهوتية وناسوتية، فأقنوم الألوهية من الآب، أما الطبيعة الإنسية فمن مريم، وبالتالي فهي أم الإنسان، وليست أم الإله. ووصلت مقالة نسطور إلى بطريرك الإسكندرية آنذاك، وجرت بينهما مراسلات ونقاشات، وشاع الأمر وانتشر، فاتفقوا على عقد مجمع أفسس هذا، فكان ما تقرر هو:

1. مريمُ العذراءُ هي أمُ الله، بمعنى هي أم المسيح؛ الإله الحق والإنسان الحق، وهما معاً بأقنوم واحد، وولدت العذراء هذا الأقنوم.

2. لَعْنُ نسطور، ونفيُهُ إلى مصر، وشجبُ تعاليمه.

_ مجمع خلقيدونية 451م:

هذا المجمع الذي عقد في مدينة خلقيدونية (قاضي كوي) حالياً في تركيا، جاء رداً واستكمالاً لمجمع أسبق عقد في أفسس 449م، وناقش كم طبيعة في المسيح عليه السلام؟ وتقرر فيه وقتها أن المسيح ذو طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت والناسوت. ولم يُحسم الأمر والخلاف؛ فجاء هذا المجمع وقرر بشكل نهائي بوجود **طبيعتين متمايزتين** في المسيح.

لن نستمر في عرض هذه المجامع، فهي كثيرة ومتنوعة بين مجامع خاصة أو عامة، وإنما اكتفينا بأشهرها مما له دور واضح بإرساء الملامح العامة للعقيدة المسيحية الحالية. مع العلم بأن من طُردوا من هذه المجامع أو لُعنوا استمروا على أقوالهم، وكان لهم أتباع في مواضع عديدة من الدولة المسيحية، فعُرِفت مذاهبهم وانتشرت.

---

[56] أخذت القسطنطينية اسمها عام 338م بعد وفاة قسطنطين، وتخليداً لاسمه، وقد سبق أن أعلنها روما الجديدة عام 330، بإشارة إلى مماثلتها لروما الإيطالية. وبقيت القسطنطينية بهذا الاسم حتى الفتح العثماني لها عام 1453م، فسميت **إستانبول**.

ولذلك أفرزت الاختلافات السابقة الكثير من الكنائس والفرق المسيحية، وسنشير إلى أكبرها وأشهرها، ثم نُعرِّف الكنيسة، ونبين دورها في تطور العقيدة المسيحية.

**** أهم الكنائس المسيحية:**

أثمرت المجامع المذكورة أعلاه العقيدة التي تنادي بألوهية الآب والابن والروح القدس بالتفصيل المذكور، لكن ما لبث أن ظهر خلاف آخر حول الروح القدس تسبب في انشقاقٍ بين الشرق والغرب. وذلك عندما ناقشوا ممن انبثق[57] الروح القدس؛ من الآب وحده، أم من الآب والابن معاً؟

فكان رأي بطريرك **القسطنطينية** إن انبثاق روح القدس كان **من الآب وحده**. وكان رأي بطريرك **روما** أن انبثاق روح القدس كان **من الآب والابن معاً**. فجمع كل واحد منهما مجمعاً وأقر فيه رأيه، واعتبره ملزماً للكل، ولعن الطرف الآخر وطرده من المسيحية الحقة.

وكانت الغلبة وقتها لكنيسة الغرب بروما، حتى أنها عزلت بطريرك القسطنطينية وفرضت قولها على كنيسة الشرق بمجمع عقدته فيها عام 869م. لكن ما لبث أن عاد بطريرك القسطنطينية لمنصبه، وعقد مجمعاً آخر عام 879م وأثبت قوله بعد أن ألغى القول السابق، فاشتد الخلاف بين الشرق والغرب.

واستمر الخلاف بين الكنيستين في أمور عديدة إلى أن أعلنت كنيسة الشرق انفصالها عن كنيسة الغرب عام 1054م، وأنها لن تتبعها في أحكامها، ورضيت كنيسة الغرب بذلك.

ويرى البعض أن الانشقاق له ملامح سياسية غالبة لأن كنيسة روما ترى أن كل الذين يرعون الكنائس هم أساقفة العالم بإشراف أسقف روما (البابا)، ودُعيت كنيسة روما **بالكنيسة الكاثوليكية**[58]، في حين كانت كنيسة القسطنطينية ترى أن هناك مراكز خمسة للمسيحية تتساوى في السلطة، هي: (القدس، وأنطاكية، وروما، والإسكندرية، والقسطنطينية)، ودُعيت كنيسة القسطنطينية **بالكنيسة الأرثوذكسية**[59]، وتعترف هذه الكنيسة بأولوية شرفية للبطريرك المقيم في القسطنطينية.

فروقٌ بين الكَنيسَتَيْنِ:

يُلاحظُ الباحثُ أنَّ ثَمَّتَ فروق واضِحة بين الكَنيْسةِ الشَّرْقيَّة (الأَرثوذكسيَّة) وبين الكَنيْسةِ الغَرْبيَّة (الكاثوليكيَّة)، منها:

= يميل الشرقيون إلى الجدل والمناقشة والتفكير بالمسائل، دون الأخذ بالسلطة العليا التي تفرض المسائل فرضاً.

---

[57] هذا اللفظ المستخدم لتفسير وجود الروح القدس، لأنه إله غير مخلوق، كما يقتضي الأمر عندهم.

[58] نسبة إلى كلمة كاثوليكوس، وتعني باليونانية شاملاً، جامعاً، كونياً.

[59] نسبة إلى كلمة أرثوذكس، وتعني باليونانية المستقيم الرأي.

= أنَّ الكَنيْســةَ الشَّــرْقيَّةَ سمحَت للكَهَنُوتِ بالزَّواجِ خِلافاً للكَنيْســةِ الغَرْبيَّةِ على أَنْ يتمَّ الزَّواجُ قَبْلَ الانتسابِ إلى الكَهَنوتِ، فلا يَكونُ من زفافٍ بَعْدَ ذَلِكَ الانتساب.

= واستبعدَت الكَنيسَةُ الشَّرْقيَّةُ شَفاعَةَ القدّيسيْن.

= وردَّتْ فِكْرَة بيعِ صكوك الغِفْرانِ[60].

أَمّا من حيث الطُّقوس والعبادات:

= فَقَدْ عاشَتْ الكنيسة الشرقية ولازالتْ تعيشُ في أُبَّهَةٍ عظيمةٍ من الاحتفالاتِ والصَّلواتِ، في كنائسَ زاهيةٍ، تُكْثِرُ في احتِفالاتِها مِنَ الأَناشيدِ المرتَّلةِ دونَ أنْ تُرْفِقَ تلك الأَناشيد بالموسيقى.

= وهي تحظرُ التَّماثيلَ، لَكِنَّها تأْخُذُ بالزَّخْرفَةِ وبَعْضِ الصّورِ.

بينما تخالف الكنيسة الغربية فيما سبق.

ظهور الإصلاح البروتستانتي:

يظهر من الفروق المذكورة بين الكنيستين تورط الكاثوليك بإحداث أمور جاءت نتيجة الغطرسة التي أصابت قساوسة الغرب وتصورهم باستحقاقهم للسلطة الأعلى بين الكنائس، فوقعوا بالعديد من الأخطاء؛ كبيع الوظائف الدينية والامتيازات الكنسية، فظهر باباوات لا علم لهم ولا معرفة، فتفشى الجهل بينهم، وازدادت الرغبة بالغنى وجمع الثروات، فظهرت صكوك الغفران، والتي تعني بيع المغفرة بأمر البابا مقابل المال.

فمهد هذا الفساد إلى ظهور أصوات تنادي بالإصلاح الذي بدأت إرهاصاته بالقرن الحادي عشر الميلادي، لكن الظهور الفعلي كان في القرن الخامس عشر الميلادي، ولعل أهمها كان على يد **مارتن لوثر** (1438- 1546)م في ألمانيا الذي نادى إلى إصلاح الكنيسة بحسب تعاليم الكتاب المقدس الأصلية، وكذا **جون كالفن** (1509- 1564)م في فرنسا، وغيرهما. وسميت حركتهما **بالإصلاح الإنجيلي**، ودُعيت الكنائس المنبثقة عن هذه الحركة **بالبروتستانتية**[61]، وظهرت حركات إصلاحية مشابهة، وتتفق جميعها على أولوية ما يعلمه الكتاب المقدس.

وما زال الإصلاح مستمراً حتى وقتنا الراهن، غير أنه لا يقتصر على البروتستانت فحسب، بل إن الكاثوليك أنفسهم اعترفوا بكثير من التجاوزات التي ارتُكبت، ووضعوا لها حداً، وعرفت حركتهم بالإصلاح المضاد للإصلاح البروتستانتي، واستمر وجودهم.

---

[60] وهذه الأمور ظهرت فيما بعد بكنيسة الغرب، وأدت لظهور الإصلاح لاحقاً.

[61] نسبة إلى كلمة بروتستانت، وتعني باليونانية المحتج أو المعترض.

** مفهوم الكنيسة، وتطوره عبر العصور:

إن الأحداث السابقة، والأحكام العقدية التي أثمرتها المجامع الكنسية، تظهر قوة الكنيسة في الإيمان المسيحي. فما مصدر قداسة الكنيسة، وما هو معناها، وكيف تطور عبر العصور؟

تُعرَّفُ الكنيسة بأنها: **جَماعةُ المؤمنينَ**، يَجمَعُهم إيمانٌ واحِدٌ بِسرِّ القُرْبانِ المُقَدَّسِ، وإيمانٌ بالمَسيْحِ وبأَنَّهُ مُنقذٌ لَهُمْ منْ أَخطائهم، وإيمانٌ بحريَّةِ الإنْسانِ في أَفْعالِهِ، وبأَنَّه يُنْقِذُ نفسهُ بتِلكَ الأَفْعالِ، وبأنَّه يتمتَّع بشَفاعَةِ القدّيسينَ، وبأنَّه يظْهَرُ في آخِرِ الزَّمانِ حاكِمٌ عامٌّ يُخلِّصَ الإنْسانَ والبَشَريَّةَ ويَهديهم سَواءَ السَّبيلِ.

هذا التعريف النهائي لها، والذي تكامل بعد التطورات المذكورة أعلاه، والذي ينتصر لفرقة على حساب أخرى. لكن الثابت فيه أن الكنيسة هي **جماعة المؤمنين**، وهو أمر أسسه المسيح عليه السلام، كما في كتبهم:

– فيقول كما في [إنجيل متى 16: 18]: (**وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها**).

– ويقول: (**وإن لم يَسمع منهم فقل للكنيسة**)، أي لجماعة المؤمنين، [إنجيل متى 18: 17].

– ويوضح لوقا في أعمال الرسل كيف شكَّل المسيح الكنيسة: (**وكان الربُّ كلَّ يومٍ يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون**) [أعمال الرسل 2: 47].

وبنفس الطريقة أسس المسيح **مكانة روح القدس** بينهم، ويظهر الأمر في كتبهم:

– حيث أوصى المسيحُ تلاميذه بتبجيل الروح القدس بعد رفعه، جاء في أعمال الرسل: (**الكلام.. عن جميع ما ابتدأ يسوع المسيح يفعله ويُعلِّم به، إلى اليوم الذي ارتفع فيه، بعد ما أوصى بالروح القدس الرسلَ الذين اختارهم**) [أعمال الرسل1: 1- 2].

– وأنه مصدر قوتهم حينذاك: (**لكنكم ستنالون قوةً متى حلَّ الروحُ القدسُ عليكم، وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض**) [أعمال الرسل 1: 8].

– وحدث ذلك بالفعل بعد رفعه عليه السلام، وحصل أما جمهور الناس، حيث (**وامتلأ الجميع من الروح القدس، وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروحُ أن ينطقوا**) [أعمال الرسل 2: 4].

وتتَّفِقُ كُلُّ مبادئ المَسيْحيَّةِ تقْريباً على وجودِ روْحِ القُدُسِ شاهِداً أَزَليّاً بيْنَ المَسيْحيينَ، وإذا كانَ الأَمْرُ كذلِكَ فإذا حَضَرَ بَيْنَهُم وأَوْحى إلى بَعْضِهِم **وجبَ أَنْ يُعتَبرَ إيحاؤُه مِنَ الدّيْنِ نفسِهِ، وأَنْ يَدخُلَ ما يوصيهِ في العَقيْدَةِ**، وعلى ذَلِكَ فكلُّ الاعترافاتِ المَسيْحيَّةِ التي وردَتْ عَنْ جماعةٍ ثبتَ أَنَّهُمْ من القِدّيسينَ ومِنَ المتَّصلينَ بروْحِ القُدُسِ تكونُ صحيحةً ثابتةً، وتَدخُلُ في مجموعةِ العَقائدِ.

ولعَلَّ هَذا الأمر يفسِّرُ لنا السُّلْطِةَ الواسعةَ التي حصَلَت عليها الكَنيسةُ فيما بعد، حتى صارت تطرد وتلعن المخالفين لها، والمجتمعين فيها على ثقة من نفوذ أحكامهم.

– وهذا الأمر ظهر أكثر في الكنيسة الغربية الكاثوليكيَّة، والتي استندت إلى حجة أخرى أقوى، وهي كلام المسيح لبطرس، وهو أحد الرسل: **(وأعطيك مفاتيحَ ملكوتِ السماواتِ، فكلُّ ما تربطُه على الأرض يكونُ مربوطاً في السماوات، وكلُّ ما تَحُلُّه على الأرض يكون محلولاً في السماوات)** [متى 16: 19]، وعلى الرغم أن المسيحيين يختلفون في تفسير هذا القول؛ فقد اعتَبرت الكنيسة الكاثوليكيَّة أن **كرسي الرسول بطرس** هو في روما، ولهذا مدَّت سلطانها على الكنائس الأخرى.

ومَهْما يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ فَقَدْ وَضَعَ الآباءُ الأَوَّلونَ أُسُسَ الكَنيسةِ دونَ أَنْ يَشْعُروا أَنَّهُمْ يؤسِّسونَ شيئاً جَديْداً بدافعٍ من الحاجَة إِلى وجودِ كَنيْسةٍ تضمُّ شملَهم وتوحِّدُ الرَّأْي فيما بينهم، بالإِضافَةِ إِلى توجيهِ الدَّعْوَةِ.

ثُمَّ أَصْبَحَتِ الكَنيسةُ جزءاً من أَجزاءِ العَقيْدَةِ، ولها سُلطانُها المعروف، ذَلِكَ السُّلْطان الذي قُلْنا إِنَّهُ يُسْتَمَدُّ من روحِ القُدُسِ، ومما ذَكَرَه المَسيْحُ عَنْ بطرس.

هذا وقد أَخذوا شَكْلَ الكَنيسةِ وكيانَها من شَكْلِ كَنيْسةِ اليهود، ومِنَ المؤسَّساتِ الوَثنيَّةِ اليونانيَّةِ:

فعلى رأْسِ الكَنيسةِ في كُلِّ مدينةٍ (مطرانٌ) كانتْ مهمَّتُه في أَوَّل الأَمرِ مُراقبة أُمورِ الكَنيسةِ، ثمَّ ما لبثَ أَنَّ أَصبحَ رَئيساً لها، ثُمَّ أَصْبَحَ رئيسَ الجماعةِ المَسيْحيَّةِ فيْها فلا يُبَتُّ أَمْرٌ بِدونِه، وهوَ الذي يَسأَلُ عَنْ كُلِّ شيءٍ، وامتدَّ الترتيبُ قَبْلَ القرنِ الرّابع الميلاديّ فشمَلَ نَوْعاً مِنَ التَّسلسُلِ والتَّدرُّجِ في الكَنيسةِ وفي النِّظامِ الكَهَنوتي، ويأْخذُ الكَهَنوتُ سُلطانَهم من الآباءِ الرُّسُلِ.

وكانَ المَسيْحيونَ ينتَخِبونَ المُطرانَ انتخاباً، ثُمَّ أَصْبَحَ المُطرانُ يستبعِدُ شيئاً فشيئاً سُلطَةَ رَعاياه منْ غيرِ الكَهَنوتِ، يستبعِدُ تلكَ السُّلْطةِ لا سيَّما فيما يتعلَّقُ بالاستيْحاءِ منْ روحِ القُدُس.

وهَكذا أَصْبَحَ التَّنظيمُ الكَنائسيّ يَكادُ يَكونُ تامّاً وقريباً مِمّا نعهدُه في عَصْرِنا الحاضِر، مع نهاية القرن الرابع، وأَصْبَحَ لكرسيّ بطرس في روْما مَكانَة خاصَّةً استِناداً إِلى ما قالَه المَسيْحُ في إِنْجيْل مَتَّى.

وهكذا يظْهَرُ لنا كيفَ تأَسَّست العَقيْدَةُ المَسيْحيَّةُ على الشَّكلِ العام، وتَظْهَرُ لنا المَبادِئ التي اعتمَدَتْ عليها، ويجبُ أَنْ نُقرِّرَ أَنَّ هَذِهِ المَبادِئ يعتَقِدُ المَسيْحيونَ أَنَّهُمْ أَخَذوها عَنْ صاحبِ شَرْعِهم وصاحبِ ديْنِهم وهوَ المَسيْحُ علَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، وأَنَّهُمْ لم يَخْرُجُوا عَنْ الأُسُسِ التي وَضَعَها، فَهوَ

= قد تَرَكَ بَيْنَهُم روحَ القُدُسِ يهديهم، وروحُ القُدُسِ قد يَهدي الأَب بولس إِلى طَرِيْقةِ الفِداءِ والإِنْقاذِ (القرابيْنَ)!

= وروحُ القُدُس هوَ الذي تستَمِد منه الكَنيسةُ التي أُسِّسَتْ.

= وروح القُدُس هوَ الذي يوحي للقدِّيسينَ آراء جَديْدَةً تَهدي المَسيْحيينَ سواءَ السَّبيلِ كَما أَراه المَسيْحُ نفسُه.

ويَقولُ لنا غينيبر: "إِنَّ الآباءَ المَسيْحيينَ الأَوَّلينَ أَسَّسوا العَقيْدَةَ والكَنيسَةَ، وَلَمْ يَكونوا يَشْعُرونَ أَنَّهُمْ يؤسِّسونَ شيْئاً جَديْداً يَخْرُجُ عمَّا وصفَه المَسيْحُ في تعاليمِه الأُوْلى، ثُمَّ تكوَّنتْ بَعْدَ ذَلِكَ أَوْ أثناء ذَلِكَ

الطُّقوسُ، وظَهَرَتِ الأَناشيدُ والموسيقى مَعَ القُرْبانِ المُـقَدَّسِ تُتْلى فيه، واتَّخذتِ المَسيْحيَّةُ سبُلَها في العِبادَةِ والتَّهجُّدِ"[62].

** الرَّهْبانيَّةُ في المسيحية:

أسهمت التطورات السابقة في العقيدة بإحداث تغيير في الإيمان المسيحي أبعده عن البساطة والنقاء اللذين جاء بهما المسيح، ودخل في الدين من أساء للمسيح وتعاليمه، فظهرت فئة أرادت أن تحافظ على رسالة المسيح بصورتها الأولى فنشأ ما سمي بعد بالرهبانية.

ولا بدَّ لفهم كيفية تشكُّل الرَّهْبانيَّةُ في المَسيْحيَّةِ من عرض المراحل التي مرت بها، وهي:

المرحلة الأُوْلى: كانتْ في أَوائلِ القُرونِ الوُسْطى، وذَلِكَ أَنَّهُ بَعْدَ أنِ انتَشَرَتِ المَسيْحيَّةُ وقَويَ نُفوذُها، وتوسَّعَ سُلْطانُها، وانتَقَلَ إِلَيْها عدَدٌ مِنَ النَّاسِ لا يفْهَمونَ معنى تضحية من ضحَّى من جماعَةِ المَسيْحيينَ الأُول، كانَ عددٌ من مُعْتَنِقي الدّيْنِ الجُدد قدْ دَخَلوا جَلْباً للمنفعةِ، أَوْ حرصاً على الظُّهوْرِ، أَوْ سِوى ذَلِكَ مِنَ الأُمورِ الدُّنيَويَّةِ، ووجَدَ من بَقيَ على طَرِيْقةِ المَسيْحيينَ الأُول في خدمَةِ الدّيْنِ والدِّفاعِ عنه والتَّضْحيةِ لأَجْلِهِ أنَّ العالَمَ قدْ غَرِقَ في هَذا التَّيار النَّفْعي، فامتَعَضوا، وآثَروا الاِنْسِحابَ منَ الحَياةِ المَدَنيَّةِ إِلى حياةِ الغاباتِ والصَّحارى، ومنهم عددٌ كَبيْرٌ مِنَ المِصريينَ، وانقَطعوا لأَنْفُسِهِم مُعتَزلينَ العالَمَ الخارجيَّ، وكانَ لكُلِّ واحدٍ مِنْهُم شجَرتُه أَوْ صومعَتُه، يُقيْمُ فيْها وَحْدَه، فلا يُعاشِرُ النَّاسَ، ولا يتَّصِلُ بهم، بَلْ يعيشُ عيشَةَ المُنْعزِلِ البَعيدِ عَنْ كُلِّ شيءٍ.

المرحلَةُ الثَّانيةُ: وَجَدَ القديسُ باكوميوس (ت: 346 م) أنَّ الانعزالَ هَذا قد أَبْعَدَ الرُّهْبانَ عَنْ الحَياةِ الحَقيْقيَّةِ، وجَعَلَ فيهم بَعْضَ الوحشةِ، فحضَّ على اجتماعِهم من حينٍ إِلى آخرَ للعِبادَةِ بعضِهم مَعَ بَعْضٍ، وسارَ مبدَأُه في أَوائلِ القرنِ الرّابع، وتَبِعَهُ عددٌ كَبيْرٌ مِنَ المصريينَ، فكانتِ الصَّلواتُ والتَّعبُّداتُ تُقامُ مُجْتَمعةً، ثُمَّ يعودُ كُلُّ فَرْدٍ إِلى نفسِهِ في صَوْمَعَتِهِ يَنْقَطِعُ فيْها للعِبادَةِ.

المرحلَةُ الثَّالثةُ: وتَلَتْ ذَلِكَ المرحلَةُ الثَّالثةُ، وإِذ بالقدّيسِ (باسيل) يَرى أنَّ حياةَ الرَّهْبَنَةِ على الصِّفَةِ المُتقدِّمَةِ ليْسَتْ أَمْراً عمليّاً، وأنَّ هناكَ حالاً أَفْضَل، وَهوَ أَنْ ينقَطِعَ الرُّهْبانُ عَنْ النَّاسِ والعالَمِ الخارجيّ، على أَنْ يَعيشوا مُجْتَمعينَ فيما سُمِّيَ بـ(الأَدْيرَة) وسادَ رأيُه، فأُسِّسَتِ الأَدْيرَةُ، واجتَمَعَ فيْها الرُّهْبانُ، وعاشوا يؤدُّونَ صَلَواتِهم وتَعبُّداتِهم.

هكذا نشأت الرهبانية في المسيحية، إذ كانت رداً على المنحرفين عن جادة المسيح عليه السلام، فهي أشبه بحركات الزهد والعزوف عن الدنيا، ولكنها ما لبثت أن تقيدت بقيود أثقلت الرهبان، وحرمتهم أبسط حقوقهم في الحياة.

---

[62] انظر: شارل غينيبر: النصرانية القديمة.

ولئن كان دافع الرهبان الأوائل المحافظة على تعاليم المسيح نقية من شوائب حب الدنيا وملذاتها، فقد تحولت بعد ذلك مع بعض المنتسبين إلى حياة عمادها الاتكال على الآخرين، والكسل عن الكسب وأسبابه، مع غياب الوازع الديني بشكل كبير.

فتحولت الرهبانية تدريجياً من أسمى أشكال التدين، إلى مصدر من مصادر الإفساد أو قاربت، باستثناء المخلصين الذين يتواجدون في كل زمان، وإن قلوا.

وقد أشار **القرآن الكريم** إلى الرهبانية المسيحية في العديد من آياته، وهي توضح أصلها، ثم التغير الذي أصابها:

– قال تعالى: (**ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**) [الحديد: 27]، فتفيد الآية أنهم ابتدعوا هذا النوع من الزهد، ثم ضَعُفَ أكثرهم عن تبعاته.

– وقال تعالى: (**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**) [التوبة: 31]، فتجمع هذه الآية التحريف الذي أصاب اليهود والنصارى فألّهوا كبراءهم من أحبار اليهود، ورهبان النصارى، كما ألّهوا المسيح ابن مريم عليه السلام؛ فضلّوا.

– وقال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**)[التوبة: 34]، وهنا تشير الآية إلى دخول الفساد بين صفوف الرهبان، وهو ما أشرنا له سابقاً. فهي ابتدأت نقية، وانتهت بغير ذلك، إلا ما ندر.

** المجموعات الموحدة من النصارى Unitarians:

ظهرت على مدار القرون الميلادية مجموعات موحدة من النصارى، ذلك التوحيد الذي أتى به المسيح عليه السلام، ومن سبقه من الرسل صلوات الله عليهم.

– وعلى رأس هؤلاء تلاميذ المسيح ورسله، الذين تصدوا لعقيدة بولس، كما مر معنا.

– ثم آريوس الذي اشتهر قوله ببشرية المسيح في مجمع نيقية 325م، وتبعه على قوله جمع كبير من الحاضرين، كما مر توضيحه، مما يدل على بقاء العقيدة الصحيحة بين المسيحيين إلى ذلك الحين، رغم انتصار المخالفين.

– وكذا الرهبانية التي نشأت للحفاظ على الدين كما بدأ، كما مر أيضاً.

واستمر الخط التوحيدي في مجموعات صغيرة، أَضعَفَ ذكرها ما يتعرض له أصحابها من اضطهاد أو تهميش. وبعد ظهور الإصلاح البروتستانتي، المثلّث بالطبع –الذي حدَّ من سيطرة الكاثوليك، ودعا بالعودة إلى الكتب المقدسة، فعاد بالأنظار إلى حالة المسيحية قبل سيطرة الكنيسة– فُتح المجال لظهور أصوات موحدة بشكل أقوى، نذكر بعضاً منها:

– وصل الحال بقوة الموحدين في المجر أن حكمهم ملك موحد هو "هوجون سيجموند" (ت1571م)، وهو أول ملك موحد في أوروبا.

– كان "فرانسيس دافيد" من الموحدين المشهورين في ترانسلفانيا، وكان في أول أمره كاثوليكياً، ثم تحول إلى البروتستانتية، ثم إلى التوحيد الخالص عام 1566م.

– ظهر في بولندا "سوسان" الموحد في القرن السادس عشر كذلك. وظهرت أصوات أخرى في ألمانيا، وإنكلترا، وهولندا.

ومع مطلع القرن السابع عشر صار التوحيد مذهباً متميزاً في المسيحية، ويَقولُ هَذا المَذْهَب:

إنَّ المَسيْحيَّةَ قَبْلَ ظُهورِ الثَّالوثِ كانتْ موحَّدةً فليسَ في الكِتابِ المُقَدَّسِ إشارةٌ أَوْ دَليلٌ إلى الثَّالوثِ وأَنَّ اللهَ واحِدٌ في ثلاثةٍ، فيجبُ إذن الرُّجوعُ إلى الفِكْرَةِ الأُوْلى للمَسيْحيَّةِ، واعتِقادِ أَنَّ اللهَ واحدٌ، ويجبُ الرُّجوعَ إلى تعاليمِ المَسيْحيَّةِ الأُوْلى، إلى تلك التعاليم التي وضَعها المَسيْحُ ويُمْكِنُ تلخيصها بشيئين:

1 – محبَّة اللهِ. 2 – محبَّة البَشَرِ.

ويَقولُ الموَحِّدونَ: إنَّ المَذْهَبَ الأَصْليَّ للمَسيْحيَّةِ هوَ أبويَّةُ اللهِ للنّاسِ، وعطفُه عَلَيْهِم وقصده لخيرهم، والمَذْهَب الأَصْلي للمَسيْحيَّة أَيْضاً هوَ أنَّ البَشَرَ أخوة، وأنَّ الخَيْرَ يَجِبُ أَنْ يُسْعى إِلَيْهِ وأَنْ ينتصرَ، وأنَّ المَلَكوتَ الصَّحيْحَ هوَ مَلَكوتُ اللهِ، وهنالِكَ اليَوْم الآخِرُ وفيه الحَياةُ الخالدَةُ للنّاسِ.

هَذِهِ هيَ عَقيْدَةُ الموحِّدينَ، على أَنَّهُمْ لم يحدِّدوا هَذِهِ العَقيْدَةَ بشَكْلٍ نهائيٍّ بأَلْفاظٍ وكلماتٍ مِنْهُم، فهم يَعْتَقِدونَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِم أَنْ لا يُضيّقوا بأَلْفاظٍ وأَفْكارٍ مَحدودَةٍ، بل يقتضي تركُ ذَلِكَ للعَقْلِ والضَّميْرِ، فالعَقْلُ والضَّميْرُ دَليلانِ للحقيقةِ الدّيْنيَّةِ، وأَكثَرُ ما يَقولونَه ويَشْهدونَه هوَ قولهم : (باسمِ حبِّ الحَقيْقةِ

وبروْحِ المَسيْحِ نتَّحدُ لخدمةِ الإِنْسانيَّةِ ولعِبادَةِ اللهِ) وَهُمْ يعلّقونَ الأَهميَّةَ الكُبْرى على التَّسامُحِ الدّيْنيّ، فهم إذن يَرجعونَ إِلى مَبادئ المَسيْحيَّةِ الأُوْلى ويتَّخذونَها أَصولاً، ويقِفونَ عندَها.

واستمر الحال بالموحدين يزداد انتشاراً في العالم المسيحي، وإن لم يُعترف بكنائسهم من قبل الكنائس الكبرى (الأرثوذكس، والكاثوليك، والبروتستانت).

وقد حاولَ الأَمريكيونَ أَنْ يقيموا اتِّحاداً بيْنَ الكَنائسِ، فدَعَوا إِلى مجلسٍ دوليّ للكنائسِ، اجتمع عام (1948 م)، إِلَّا أنَّ الكَنيْسةَ الكاثوليكيَّة لم تشتَرِك في هَذا المجلسِ وخالفتْهُ، فهي تَرى أَنَّهُ لا وحدةَ للمسيحيينَ إِلّا بالعودَةِ للكَنيْسةِ الكاثوليكيَّةِ، أي إِلى كرسيّ البابا، واجتمعَ المجلسُ ونظرَ نظرةً واسعةً في الأُمورِ، وممَّا أَقرَّه أَنَّهُ وافقَ على قبولِ الموحّدين فيه وصهَرَهُم في المَسيْحيَّةِ، وكانوا قَبْلَ ذَلِكَ يعدُّون زنادِقةً خارجينَ عَنْ النَّصْرانيَّة.

وبذلك عاد التوحيد رسمياً إلى المسيحية -غير الكاثوليكية- واعتُرف بالمنتسبين إليه على أنهم شكلاً من أشكالها، وجُلَّ ما يدعون إليه نفي ألوهية المسيح، والروح القدس، وإثبات وحدانية الله تعالى، وعملوا على دراسة الأناجيل دراسة نقدية لإثبات خلوها من تلك الأقوال.

وقد سبق القرآن الكريم بإظهار هذه الحقيقة عندما بيَّن لنا أن قول المسيحيين بتأليه المسيح، وأنه ابن الله تعالى مأخوذ من أقوال الذين كفروا من قبل. كقوله تعالى: **(وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)** [التوبة: 30]، فتأليه المسيح والاعتقاد بأنه ثالث ثلاثة فيه مضاهاة وتقليد لعقائد الذين كفروا من قبل، ولا علاقة له بما جاء به المسيح رسول الله تعالى.

** الحوار الإسلامي مع المسيحيين وغيرهم:

إن المجمع الفاتيكاني الثاني الذي عُقد بين عامي (1962- 1965)م، وهو من ثمار الإصلاح الكاثوليكي الداخلي؛ جاء فيه ما يخص تحسين النظرة إلى المسلمين. ومن ذلك:

- على المسيحيين أن يحترموا المسلمين، ويولوهم كل اعتبار.
- المسلمون والمسيحيون يعبدون الإله الواحد خالق السماء والأرض، القدير الرحيم المكلم للبشر.
- المسلمون والمسيحيون على السواء يجتهدون أن يخضعوا لأوامر الله تعالى.

وبالتالي سمح هذا التطور المسيحي بعودة الحوار بين أتباع الرسالتين، والذي سبق وأن خطه القرآن الكريم، وفعله الرسول الأمين، وهو منهج ثابت عند المسلمين. فما هو الحوار، وكيف كانت صوره في الإسلام، وماهي آدابه؟

تعريف الحوار:

كلمة حوار من حور: والتي تعني الرجوع عن الشيء إلى الشيء. والتحاور: التجاوب. وقال الراغب الأصفهاني: المحاورة والحوار: المرادَّة في الكلام. قال تعالى: (**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**) [المجادلة: 1]، يسمع تحاوركما: أي تراجعكما في الكلام.

فالحوار هو: تبادل الحديث بين طرفين أو أكثر، بدون خصومة، عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف. وهو ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه، وهو يؤيد الحق أو يفضي إليه بنية خالصة وطريق صحيح.

تاريخ الحوار بين المسلمين وغيرهم:

أدرك المسلمون منذ بداية البعثة النبوية طبيعة دينهم وعالمية رسالتهم، فقاموا يدعون الناس إلى هديه. فبدأ الحوار بين المسلمين والمشركين أولاَ، وسجَّل القرآن الكريم الكثير من الآيات عن هذه الحوارات، وتولى فيها الرد على المشركين.

كما كان في الفترة الأولى من البعثة حوار المسلمين مع أصحاب الديانات الأخرى؛ كحوارهم مع النجاشي الذي قال في نهاية الحوار: "إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة".

كما استخدم القرآن الكريم في حواراته مع اليهود في المدينة المنورة لفظَ (يا أهل الكتاب)، وهي كثيرة جداً وتدل على تعدد المحاورات معهم.

وكان أهم اتصال بالنصرانية قدوم وفد نصارى نجران إلى المدينة ومحاورتهم للنبي صلى الله عليه وسلم في مسجده، وقد نزلت بسبب هذه الزيارة نيف وثمانون آية من صدر سورة آل عمران.

وبعد رجوعهم إلى بلادهم لم ينقطع حوار المسلمين معهم، إذ أرسل معهم المغيرة بن شعبة فكانوا يحاورونه ويطرحون عليه الأسئلة؛ ومن ذلك أنه أشكل عليهم مؤاخاة القرآن بين مريم وهارون عليهما السلام، فسألوا المغيرة بن شعبة عن ذلك، ففي صحيح مسلم عن المغيرة ابن شعبة قال: لما قدمتُ نجران سألوني فقالوا إنكم تقرؤون **(يا أخت هارون)** [مريم: 28] وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلمَّا قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال: "إنهم كانوا يُسَمُّونَ بأنبيائهم والصالحين قبلهم".

واستمر الحوار فيما بعد كحوار الأشخاص أمام الخلفاء، والمؤلفات التي كانت على أسلوب الحوار، حتى وقتنا الحالي.

آداب الحوار:

الحوار تفاعل بين طرفين أو أكثر، متخالفين في الكثير من الأحيان، فلا بدَّ أن يراعي كل طرف آداب الحوار ليكون الحوار ناجحاً، ومن أهم تلك الآداب التي ينبغي أن يتخلق بها المحاور المسلم:

1. أن يتخلق المحاور بأخلاق الإسلام من الحكمة والكلمة الطيبة، وأن يتجنب السوء من القول، قال تعالى: **(وقولوا للناس حُسنا)** [البقرة: 83]. وقال تعالى: **(ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)** [النحل: 125].

2. التحلي بالإحسان والتغاضي عن الإساءة: فقد يصدر عن المحاور المخالف ما يسوء المسلم من التجريح لشخصه، أو التعريض به. فماذا يكون موقف المحاور المسلم: هل يغلق باب الحوار ويوقف مسار الدعوة؟ أم يتغاضى عن خطأ الآخر سياسة وصوناً لمصلحة الدعوة؟ طبعاً عليه أن يتغاضى ما أمكن للابتعاد عن المنازعة وأسبابها، أو يعرض عن الإجابة، وقد يؤثر إعراضه إيجاباً في الطرف الآخر.

3. ترك الخوض فيما لا يحسن: فمن الخطأ الجسيم الذي يقع به المحاور هو أن يقول ما لا يعلم، وهذا الذي نعاه القرآن على أهل الكتاب، وهو ذمٌ لكل من صنع مثل صنيعهم، قال تعالى: **(فلِما تحاجُّون فيما ليس لكم به علمٌ)** [آل عمران: 66].

4. ترك المجال للمحاور بذكر قناعاته: وترك المجال للمخالف ليذكر مذهبه لا يعني التسليم لقوله، وإنما هو أدب الحوار أن يفسح المجال له ليعبر عن قناعاته، حتى إذا سكت قام المسلم بالرد عليها وبيان الخطأ فيها.

5. مداراة المحاور وإكرامه وحسن التعامل معه: فمن آداب الحوار حسن المعاملة وإكرام المحاور وحسن استقباله. ومن المداراة مناداة المحاورين غير المسلمين بما يليق بهم من ألقاب يستحقونها بحسب اعتقادهم، وتحيتهم تحية مناسبة.

6. التنزل مع الخصم في الحوار: من أساليب التلطف مع المخالف أن يتنزل المسلم مع خصمه في الحوار، فيفرض صحتك كلامه ليكشف له ما يترتب عليه من فساد. وهذا منهج قرآني أُرشِدْنا إليه، قال تعالى: **(وإنَّا أو إياكم لعلى هدىً أو في ضلالٍ مبين)** [سبأ: 24].

7. إنصاف المخالف بذكر إيجابياته وموافقته فيما يصدر عنه من الحق: فالحكمة ضالة المؤمن فهو يأخذها ويقر بها بلا غضاضة من أي طريق جاءت، قال تعالى: **(ومن أهل الكتاب من إن تأمنْه بقنطار يؤده إليك)** [آل عمران: 75]، وقال تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوَّامين لله شهداءَ بالقسطِ ولا يجرمنكم شنآنُ قومٍ على آلا تعدلوا اِعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون)** [المائدة: 8].

.. والحمد لله

د. ريمه شريف الصياد

الموضوعات المطلوبة من المقرر السابق

تاريخ الأديان

لهذا العام

الأَدْيـان غير الكِتـابيَّـة

*** ديانة مصر القديمة، ودين أخناتون**

*** الزرادشتية**

ديانةُ المصريين القُدماء
ودينُ أَخْناتون

يُعدُّ دينُ (أختاتون) من الأَديانِ التَّوْحيْديَّةِ وضَـــعها فرعونٌ من فَراعنَةِ مِصْـــرَ يســـمَّى (أمنحوتب الرابع) وهو ديْنٌ يَدلُّ على أنَّ الإِنْسـانَ إِنْ دقَّتْ مَشاعِرُهُ وحسُنَ عقلُهُ، استطاعَ أَنْ يَصِلَ إِلى درجةٍ يُدْرِكُ فيْها أنَّ للكونِ إِلَهاً واحِداً فَرْداً أَحَداً.

ونبدأُ بذِكْرِ ما كانَ عَلَيْهِ ديْنُ المصـــريين القُدَماء قَبْلَ (أَخْناتون): كانت مصـــرُ غارقة في خِضَمٍ من عِبادَةِ آلَـــهَةٍ عديدةٍ مختلِفَةٍ، أَقدَمُها أَرْبابٌ من الحَيواناتِ، انضمَ إِلَيْها أَرْبابٌ تمثِّلُ مظاهِرَ الطَّبيعَةِ مِنَ (الهَواءِ، والسَّماءِ، والنُّجومِ، والشَّمسِ...) وتفرَّقتِ الآلِـــهَةُ في مدنِ مصرَ، وفي قُراها، فكانَ لكُلِّ منطقةٍ إِلَهٌ خاصٌّ تعبدُه، وتدْعوهُ، وتطلُبُ منه أَنْ يحميها، وأَنْ يمنَعَ عنها الشُّرورَ.

وأَرْواحُ الآلِـــهَةِ تَـــجْري وتنتقلُ في كُلِّ مكانٍ، والآلِـــهَةُ يُشبِهونَ الإِنْسانَ في نَوْعِ قوَّتِه ومقدرَتِه، لكنَّ قوَّتَهم ومقدرَتَهم أَوْسعُ من الإِنْسانِ وأَشدُّ، فحولُهُم أَطْولُ ومقدرتُهم على جلبِ الخَيْراتِ أَكْثر، على أَنَّهُمْ يموتونَ كَما يموتُ الإِنْسانُ، والإِنْسانُ مكوَّنٌ من جسمٍ وروحٍ وجَوْهَرٍ إِلهيٍّ عام يُسمَّى (ألكا) هَذا الجَوْهَرُ الإِلَـــهيُّ يستَمِرُّ كالآلِـــهَةِ بَعْدَ الحَياةِ، فلهُ إِذنْ أَنْ يعودَ، لَكِنَّهُ لا يعودُ إِلّا إذا بَقيَ الجســـمُ على شَـــكْلِهِ، ومِنْ هُنا حدثَتْ عادَةُ **التَّحنيطِ** التي غايتُها بقاءُ الجسمِ على شَكْلِهِ، وخصِّصَتْ للأَجسامِ المحنَّطةِ الهياكِلُ العظيمةُ، والمقابِرُ الفخْمةَ تُدفنُ فيْها فتبقى على ما هيَ عَلَيْهِ إِلى أَنْ يعود إِلَيْها (الألكا).

وَكانَت عودةُ الحَياةِ مختصَّة بملوكِ الفراعنةِ فهُم الآلِهَةُ وإِليْهِم تعودُ الرّوحُ.

وَلَكِنَّ تعدُّدَ الآلِهَةِ وازديادها جَعَلَ عودَةَ الرّوحِ إِلى أَجْسامِ غيرِ المُلوكِ جائزةٌ.

ثم أَتى يَوْمٌ قلَّ فيه عددُ الآلِـــهَةِ وضاقَ مُـــحيطُها، وشرعَ الكَهَنَةُ القَوَّامونَ على المعابِدِ والهياكِلِ برفْعِ أَحَدِ الآلِـهَةِ إِلى سويَّةٍ أَعْلى منَ الآلِـهَةِ الأُخْرى، وجُعِلَ مقرُّ الهَيْكَلِ الأَكبرِ في مدينةِ (هليوبوليس).

وضمَّ الهَيْكَلُ عدداً كَبيْراً من الكَهَنَةِ المتعلِّمينَ، فاستطاعوا بمساعدَةِ (آل منفيس) أَنْ يَرفعوا آلِـــهَةَ مدينتهِم – واسمه (**آتوم**) – فَوْقَ منزلَةِ الآلِـــهَةِ الآخرين، ثُمَّ صَهَروهُ بـــ(**إِلهِ الشَّمسِ**) فتَكوَّنَ إِلَـــهاً واحِداً ضمّوا إِلَيْهِ إِلَـــهاً آخر قوياً عِنْدَهُم هوَ (إِلَهُ الخصبِ والمَـــوْت) يدعى

(**إيزوريس**) وَهوَ ربٌّ عِنْدَ المصـريينَ يُقدِّمونَ لَهُ المآكِلَ والخضـراواتِ والمُـــنتَجاتِ الطَّبيعيَّةِ، ويُعطيهم الخِصْبَ، وكانَ لذلكَ مُقَدَّساً عندهم.

وكذلِكَ أَصْبَحَ لديهم إلَــهان (**أتوم**) وَهوَ (إلَهُ الشَّمْسِ) مصهور به (إلَهُ هليوبوليس) وإلَــه الخصب (إيزوريس) هَذا وإلَهُ الشَّمْسِ هوَ أَصْلُ الحَياةِ عندهم، أَمّا إلَهُ الخصبِ ففيه الاستمرارُ والإنتاجُ، يلِدُ كلَّ ربيعٍ ويموتُ كلَّ خريفٍ.

هَذِهِ هيَ ديانَةُ المصريين القدماء.

وقد وضَعَ المصريونَ القُدَماء تاريخاً للخَلْقِ يَدلُّ على تطورِ تلك الدّيانَةِ منْذُ مَبْدأ الكَوْنِ إلى عصرِهم، ذَكروا فيه تخاصُمَ الآلِهَةِ، وتغلُّبَ بَعْضُهُم على بَعْضٍ.

وأَنْهوا ذَلِكَ التّاريْخَ بأَنِ اعترَفوا بأنَّ من يَغدو فِرْعَوناً يُصبِحُ إلَــهاً، ويجبُ أنْ تُحفَظَ مومياؤه لأَنَّها تأْتي بالخَيْــرِ لمصرَ، وبنوا الهياكِلَ العظيمةَ للفراعِنةِ، وقَعَدَ فيْها الكُهَّانُ، واستَفادوا منها واســتَعْمَلوا الشَّــعوذَةَ والسِّــحرَ، وتســلَّطوا على العامَّةِ، وابتزّوا الأَمْوالَ، ودَخَلوا في حَياةٍ من التَّرفِ كَبيْــرة، بَلْ إنَّهم باسمِ الآلِــهَةِ استطاعوا أَنْ يعيشوا حياةَ الاستهتارِ، فاتَّخَذوا في الهياكِلَ نساءً يُقيْمونَهم في الظَّاهِرِ لأُمورِ الدِّنْنِ، ويستمتعونَ بهنَّ في الحَقيْقةِ.

في هَذا الجو استَوْلى (أَمِنْحَوتَب الرّابع) على المُلْكِ بَعْدَ أَبيه (أَمِنْحَوتَب الثالث) وكانَ رقيقاً في مَشاعِرِه، رقيقاً في نفسِهِ، عالياً في أَخْلاقِهِ، عفيفاً ذا نَفْسٍ طيّبةٍ غاية الطيبة، ويظْهَرُ على تلاميحِ وجهِهِ الذي نُقِلَ إلَيْنا مَرْسوماً أمارةُ الرّقةِ المُتَناهيةِ بحولِه وطولِه ورقَّتِه.

نظرَ (أَمِنْحَوْتَب الرَّابع) في الدّيانَةِ التي بيْــنَ يديهِ فمجَّــتْها نفسُه، ومجَّ منها بصفةٍ خاصَّةٍ أَعْمالَ الكَهَنوتِ واســتِغْلالهم للنّاسِ وانهماكهم في المَــــلذَّاتِ، وأَخذَ يَبْحَثُ عَنْ إلَهٍ جَديْدٍ، فرأى أنَّ الشَّمْسَ هيَ التي تُعْطي العالــمَ الخَيْــرَ، وهي التي تحي النَّباتَ، وتنعشُ النُّفوسَ، رأَى في الشَّمْسِ مَظْهراً من مَظاهِرِ الأُلوهيَّةِ، فهي مبعثُ الحَياةِ، وهي إذن تُــــمَثِّلُ الآلِــــهَةَ، فدعا النّاسَ إلى عِبادَةِ الإلَهِ الجَديْدِ بَعْدَ أَنْ كوَّنَ دينهُ وأَعْطى الشَّمْسَ اسماً هوَ (**آتون**).

ملخَّصُ دينِ أَخْناتون:

وملخَّص دينهِ أَنَّهُ يعتقدُ أنَّ الإلَــهَ واحِدٌ أَحَدٌ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ في هَذا الكَوْن، ويخلقُ الخَلْقَ بكلمةٍ منه، وَهوَ ليسَ إلى جانبِه إلَهٌ آخرَ، وليسَ ربَّ شَعْبٍ مُحدَّدٍ بَلْ ربٌّ كلِّ البَشَرِ، وَهوَ إلَهُ الخَيْرِ، لأَنَّهُ يَبْعَثُ الحَياةَ، ويُكْثِرُ منَ الخَيْراتِ، ويملأُ العالَمَ خَيْراً بواسطةِ أَشعةِ الشَّمْسِ، ويملؤهُ

بركةُ، تلك الأَشِعة، وتُصوَّرُ تلك الأَشِعةُ عِنْدَ فَنَّاني (أَخْناتون) على شَكْلٍ يَنتهي بصورَةِ يدٍ مبسوطةٍ تُبارِكُ بالخَيْرِ، والمظهَرُ البَريءُ المَرئيُّ للإِلَهِ الواحِدِ الأَحَدِ هوَ قرصُ الشَّمْسِ، فهي تمثِّلُ خَيْرَ الإِلَهِ، وتمثِّلُ بركاته. وهي عِنْدَ (أَخْناتون) مبعثُ الحبِّ، والله خَلَقَ حَرارَتها لتدفئ النّاسَ وتبعَثَ فيهم الحَياةَ، وتبعَثَ في الحَيواناتِ القوَّة، وفي النَّباتِ النُّموَ.

نَجِدَ تَعبيراً عَنْ هَذِهِ المعاني في الأُنْشوداتِ التي كانت تُرْسَلُ لـ (**أتون**) وتوجَّهُ إِليهِ، وهَذِهِ واحِدَةٌ منها[63]:

ما أَجملَ مطلعَكِ في أُفقِ السَّماءِ ..
أي **أتون** الحي مبدأ الحَياةِ ..
فإِذا ما أَشرقتِ في الأُفقِ الشَّرقيِّ ..
ملأتِ الأَرْضَ كلها بجمالِك ..
إِنَّك جميلٌ عظيمٌ برَّاقٌ عالٍ فَوْقَ كلِّ الرؤوسِ ..
أَشعَتُك تُحيطُ بالأَرْضِ، بَلْ بكلِّ ما صنَعْت ..

****

ومَهْما بعدت فإِنَّ أَشعتَك تغمرُ الأَرْضَ ..
ومَهْما عَلَوت فإِنَّ آثارَ قدميك هيَ النَّهارُ ..
وإِذا ما غربت في أُفقِ السَّماءِ الغربيِّ ..
خيَّمَ عَلى الأَرْضِ ظلامٌ كالموتِ ..

****

ما أَبهى الأَرْضَ حين تُشْرِق في الأُفُقِ ..
وحين تُضيءُ يا أتون النَّهارَ تَدْفَعُ أَمامَك الظَّلامَ ..
وإِذا ما أَرْسَلْتَ أَشعَّتك أَضحَتِ الأَرْضُ في أَعيادٍ يوميَّةٍ ..
واستيقظَ كُلُّ مَنْ عَلَيْها ووقَفوا على أَقْدامِهم ..
الإِلَهُ الواحِدُ الذي ليسَ لغيرِه سلطانٌ كسلطانهِ ..
يا منْ خلقْتَ الأَرْضَ كَما يَهوى قلبُكَ ..

****

إِنَّ أَشعَّتك تغذّي كلَّ الحدائقِ ..

---

(63) من قصة الحضارة لديورانت، ترجمة مُحَمَّد بدران: 1969/2- 174.

فإذا ما أَشرقْت سرَتْ فيْها الحَياةُ ..
فأَنتَ الذي تنميها ..
أَنتَ موجِّدُ الفُصوْلِ لكي تَخلُقَ كلَّ أَعْمالِك ..
خلقْتَ الشِّتاءَ لتأْتيَ إِلَيْها بالبردِ ..
وخلقْتَ الحَرارةَ لكي تتذوَّقك ..

****

لما اكتشف (أَمنحوتب الرابع) إِلَـهَهُ ووَجَدَ أَنَّهُ واحِدٌ أَحَدٌ، وأَنَّهُ خَيْـرٌ، وأَنَّهُ يُعطي البركةَ، وأَنَّهُ لم يخلقِ الكَوْنَ مَعَ الآلِـــهَةِ الآخرين، لم يعُدْ يَسْـتَطيعُ تحمُّلها ولا تحمُّلَ اسمها فغيَّرَ كُلَّ شَيْءٍ، وتتبَّعها، بَلْ لم يرضَ بأَنْ يُقيْمَ في مدينةِ (هليوبوليس) فانتَقَلَ إِلى مدينةٍ جَديْدَةٍ أَنْشأَها لديانتهِ دَعاها (**إيخوت أتون**) وبنى فيْها هياكِلَ جَديْدَةً، وبنى عواصِـمَ أُخْرى في مُـــختلَفِ أَنْـحاءِ مصرَ، بَلْ لم يرض عَنْ اسمِهِ واتَّـخذَ اسماً جَديْداً فدعى نفسه (**أَخْناتون**) ومعناه (**أَتون راضٍ**) وتتبَّعَ الكَهَنَةَ، وقَضى على سحرِهِم وشعوذَتِهم، وأَخذَ مِنْهُم أَمْوالَـــهُم، وأَلْزَمَهُم بعِبادَةِ الإِلَهِ الجَديْدِ، فأَقْبلوا عَلَيْهِ مُتأَفِّفينَ غيرَ راضينَ.

وشرع (أَخْناتون) يَضَعُ لمصرَ أُسْلوباً جَديْداً في الفنِّ يوافِقُ طِرازَ الدّيْنِ الذي وضَعهُ، فطلبَ من الفنَّانينَ والرَّسامينَ والنَّحاتينَ أَنْ يَتْرُكوا العرفَ القَديْمَ، وأَنْ يُقبِلوا على الطَّبيعَةِ التي هيَ مِنْ خَلْقِ الإِلَـــهِ، والتي هيَ ظاهِرَة من ظَواهِرِه فيأْخُذوا منها، فَأَطاعوه وصاروا يرسمونَ كُلَّ شَيْءٍ بعاطِفةٍ جَديْدَةٍ، ومنَعَهُم من تصويرِ الإِلَـهِ، فالإِلَـهُ عندَهُ حقيقةٌ لا صورَةَ لها، وكذلِكَ سَـمَـى فنُّهم بتعابيرِه الرّوْحيّةِ سُمواً عَظيماً.

هَذا الدّيْنُ الذي وصلَ إِلَيْهِ (أَخْناتون) بذَكائه ورقَّةِ عواطفهِ فأَقرَّ فيه بوجودِ إِلَهٍ واحِدٍ أَحَد، خالقٍ للكَوْنِ جَمِيْعِه، وليسَ إِلى جانبِه إِلَهٌ آخرَ، ديْنٌ لم يَكُنْ أَهلُ مِصْـرَ بقادرين على فهمِهِ، فقدْ كانَ ذهنهُم مُشْبَعاً بذلك العدَد منَ الآلِـهَةِ الذين بيْـنَ أَيديهم ينظُرون إِلَيْهِم، ويَحْمِلونَهم، ويَحتَمونَ بهم في كُلِّ حينٍ، وزاد الطِّينَ بلَّـــةً عِنْدَهُم أنَّ (أَخْناتون) غيَّـــرَ اسمَه، فرفَعَ اسمَ أَبيهِ واستبدَلَه بـ (أَخْناتون) وهَذا عِنْدَ قدماءِ المِصْرِيِّنَ أَمْرٌ خَطيرٌ، فالفَراعِنَةُ عِنْدَهُم آلِـهَةٌ ممجَّدونَ، وليسَ لـ(أَخْناتون) أَنْ يمتَهِنَهُم، وحرَّكَ الثَّوْرَةَ في هَذا الأَمْـرِ الكَهَنوتُ الذين أُصيبوا في أَمْوالِـهِم وعمَلِهم وربْحِهم.

ثم أَتى حادِثٌ آخر قَضى عَلى كُلِّ آمالِ (أَخْناتون) وَهوَ أنَّ هَذا الملك انشغَلَ بشؤونِ دينهِ عَنْ الاهتمامِ بشؤونِ إِمْبَراطوريَّتِهِ الواسعة، وهَذا الإِهْمالُ سهَّلَ السَّبيلَ لبَعْضِ التَّابعينَ لتلكَ الإِمبراطوريَّةِ فأَعلَنوا الانشقاقَ عَنْ مصرَ، فَهَذِهِ سوريَّةُ تُعلِنُ العِصيانَ ثُمَّ تستقلُّ، وَلَمْ يُعالِج (أَخْناتون) ذَلِكَ معالجةً حاسِمةً، فَقَدْ كانَ في أَعماقِ نفسِهِ لا يعتقدُ كلَّ العَقيْدَةِ حقَّ مِصْرَ في حكمِ الأُمَمِ الأُخْرى، ومَهْما يَكُنْ من أمرٍ فإِنَّ انشقاقَ المَمْلكَةِ عَلَيْهِ ولَّدَ لَهُ المتاعبَ والمشاكلَ الكَثيْرَة، فاضطربَ لها وماتَ في الثَّلاثينَ منْ عمُرِهِ مَقهوراً حزيناً مَجروحَ القلبِ، مَكْلومَ الفؤادِ، وما إِنْ ماتَ حَتَّى قُضيَ على دينهِ وعادَ المصريونَ إِلى دينِهِم القَديمِ، ومحا الكَهَنَةُ اسم (أتون) واسم (أَخْناتون) مِنَ المعابِدِ والهياكِلِ والجُدْرانِ، فقَضوا على الدّيْنِ وأَزالوه بَعْدَ إِذْ كانَ، وأَصبَحَ أثَراً بعدَ عيْنٍ.

الـزَّرادَشْــتــيَّــة

الزَّرَدشــتيَّةُ: ديْنٍ ثنوي ينتهي أَمرُه بالتَّوحيدِ، وهَذا الدّيْنُ عُرِفَ في العُصــورِ الإِسْــلاميَّةِ السابِقَةِ وحتَّى يَومِنا هَذا بـــ(المجوسيَّةِ)، على أَنَّ المَـــجوسيَّة ليْسَتْ إِلّا تَحْرِيْفاً لذلك الدّيْنِ الأَصْلي الذي هوَ ديْنُ (زَرَدَشْت).

وزَرَدَشْت عاشَ على ما قالَه أَكثرُ الباحثينَ بالتَّقريبِ في القرنِ السادسِ قَبْلَ الميْلادِ، ومنهم من يضبِطُ تاريخَ حَياتِهِ كَما يلي (660 – 580) ق. م، وكلُّ هَذا تقريبٌ لا تُعرَفُ حَقيْقةُ تاريخِه. بَلْ يدَّعي بَعْضُ النَّاسِ أنَّ وجودَه نفسَـــه رَمْزيٌّ، وأَنَّهُ لم يَكُنْ هناك شَـــخصٌ اسمه (زَرَدَشْت).

حياة زَرَدَشْت:

انقطَعَ زَرَدَشْت لنَفْسِهِ مـدَّة مـنِ الـزَّمنِ يتعبَّـدُ ويتهجَّـدُ، حَـتَّى إذا كـانَ لَـهُ مـنَ العمـرِ بيْـنَ الثَّلاثـينَ والأَربعـينَ قـال: إِنَّـهُ أُوحـيَ إِلَيْـهِ ديْـنٌ جَديْـدٌ. وشـرَعَ زَرَدَشْـتُ يُبَشِّـرُ بهَـذا الـدّيْنِ بيْـنَ النَّـاسِ بهمَّـة لا تفتُـرُ، وامتـدَّ بـهِ الـزَّمَنُ في هَـذا التَّبشـيْر دونَ نجـاحٍ كَبيْـرٍ، ولَكِنَّـهُ كـانَ مـن حُسْـنِ حظِّـه أنْ اجتَمـعَ بملِـكِ الفُـرْسِ واسمـه (كتشـمبا) **ولعلَّـه** والـد (دارا). وجاهَـدَ زَرَدَشْـتُ ليُقنِـعَ الملـكَ فلـمْ يَقْتَنِـعْ هَـذا إِلّا بَعْـدَ أن ظَهَـرَتْ لَـهُ المُعجزَةُ – على مـا قيـل – وَهـيَ: أنَّ زَرَدَشْـت أَنْبـتَ شـجرَةَ أَرز علـى عتَبَـةِ قصْـرِه، فـآمنَ، ودعـا النَّـاسَ إِلى الأَخْـذِ بـذلكَ الـدّيْنِ الجَديْـدِ، وسـارَ زَرَدَشْـت في أَنْحـاءِ المَمْلَكَـةِ يُبَشِّـرُ بِدينِـهِ، وأَقـامَ على ذَلِـكَ نحـواً مـن سبعَةٍ وعشـرينَ عامـاً لا يكـلُّ ولا يمـلُّ حَـتَّى قُتِـلَ في حـربٍ مَـعَ أَهْلِ بلخ، فتوفي وترَكَ منْ بعدِه ديْنَهُ.

كتابُ الزردشتيَّة:

يقالُ إِنَّ زَرَدَشْـتَ وَضَـعَ كتاباً لدينِهِ اسمه (الافيسـتا)، على أَنَّ هَذا الكتاب يحوي خَمْسَـةَ أَسْـفارٍ مختلفَةٍ، وهو مضـطربٌ في نُصـوصِـه غير مُسـتقيمٍ، ادْمِجَتْ فيه نُصـوصٌ ليْسَـتْ منه، وأُقْحِمَتْ فيه إِقْحاماً.

ومِنَ الأَسْفارِ الخمسَةِ كتابُ صَلاةٍ يحوي (الغَطْسَ) **ولعل** الغطسَ أَقْدمُ قطعةٍ من الافستا، ولعلَّ بَعْضَهُ بقلمِ زَرَدَشْت نفسِه.

والافستا يُدعى أَيْضاً بـ (زندافستا) – أي تفسير القانون –.

والكتاب مكتوبٌ باللُّغةِ الفارسيَّةِ القَديمَةِ، سوى النُّصوص التي أُلْحِقَتْ به في عَصْرِ السَّاسانيّنَ باللُّغةِ الفَهْلويَّة، وهي نُصوصٌ أَدبيَّةٌ تفسيريَّةٌ للكتابِ، تتمِّم بَعْضَ ما فيه.

مبادئ زردَشت:

إنَّ الدّيْنُ الذي جاءَ به زَرَدَشْت قُصِدَ به إِصْلاحُ الدّيْنِ القَديمِ، إِصْلاحُ ديْنِ المَظاهِرِ الطَّبيعيَّة الذي يُعبَدُ فيه عددٌ هائلٌ منِ الآلِهَةِ.

= أَرادَ زَرَدَشْت أَنْ يصْلِحَ هَذا الدّيْن وأَنْ يقرّبَه منَ التَّوْحيْدِ، وأَرادَ أَنْ يَبْعَثَ فيه حياةً جَديْدَةً.

= ووضَعَ أُسساً للإِصْلاحِ الاجتماعيّ، فحضَّ على العَمَلِ في الأَرْضِ والخوفِ من الدَّنَسِ والابتعادِ منه وتطهيرِ النَّفْسِ وتَقْديسِها بالصَّفاءِ وفعْلِ الخَيْراتِ.

= ومن وصاياه وصايا ثلاث حضَّ فيْها على أَنْ يَكونَ للإِنْسانِ نوايا حسنة، وكلام حسن، وأفعال حسنة.

فقصدَ إِذن بدينِه شيئاً من الطُّهْرِ والسُّموِ بالنَّفْسِ البَشَريَّةِ، وإِصْلاحِها ورَفْعِها عَنْ المُسْتَوى الذي كانت عَلَيْهِ في ديْنِ الفرس القَديْمِ.

الإِلَهُ في الزَّردشتيَّةِ:

أَمّا نظرتُه التي عَنْ الإِلهِ فليسَ بوسعِنا أَنْ نعرفَها وأَنْ نضبطَها، فقد دَخَلَ عليها كَثيْرٌ مِنَ الأَشْياءِ شوَّهَتْها وأَبْعدَتْها عمَّا وضعها عَلَيْهِ زَرَدَشْت، وَلَمْ يَتَّفِقْ الباحِثونَ على الدّيْنِ الذي أَتى به زَرَدَشْت، بَلْ اختلَفوا فيه اختِلافاً كَبيْراً. وَلَمْ تنته إِلينا كتاباته صحيحةً موثَّقةً، بَلْ مَضى زمنٌ طويلٌ عليها جُهِلَتْ فيه، ثُمَّ جُمِعَتْ بَعْدَ قرونٍ عديدةٍ على غيرِ حقيقتِها الأُوْلى. وعلى ذَلِكَ فلا يُنْتَظَرُ منَّا أَنْ نصِلَ إِلى فكرةٍ دقيقةٍ عَنْ ديْنِ زَرَدَشْت، وما بينَ أَيْدينا يُقرّبُ فكرتَه، ولذا فإِنَّنا سنعرِضُ هَذِهِ الفِكْرَة عَرْضاً عامّاً لا على أَنَّها حقيقة تاريخيَّة، بَلْ هو ما انتهت إِلَيْهِ أَفْكارُ المؤرّخينَ المُحْدَثينَ.

فعلى رأيهم أَوْ رأى بَعْضُهُم أنَّ زَرَدَشْت كانَ يعتقدُ أَنَّهُ وجِدَ منْذُ الأَزلِ إِلهانَ:

أَحدهما: (أَهورا مزده) ويسمى أَيْضاً (هرمز) أي (العلم السامي).

والإِله الآخر: (أهرمان).

عمد (هرمز) إلى خَلْقِ النُّوْر والحَياةِ، فغارَ منه (أهرمان) وخلقَ اللَّيْلَ وجهنَّم، ردّاً على خصمِه، واستعرَ القِتالُ بيْنَ الاثنينِ، وَهوَ قتالٌ سينتهي يَوْماً.

ثُمَّ إنَّ (هرمز) خَلَقَ خِصالاً ستّاً هم وزراؤه، وهي (الخَيْـــرُ، والخِصالُ الحسنَةُ، والعدلُ، والملكُ الإلَهيّ التقيُّ الصّالِحُ، والعفو، والخُلود).

وعاد (أهرمان) فخلَقَ مقابلَ ذَلِكَ خِصالاً شرّيرةً، هم وزراؤه، وَهيَ: (القساوةُ، والغضبُ، والذنوبُ، والسِّحرُ، ... وغير ذَلِكَ.

واستمرَّ القِتالُ بيْنَ المَبْدأَيْنِ (مبدأ الخَيْرِ، ومبدأ الشرّ) ثلاثةَ آلافِ سنةٍ.

ثُمَّ خَلَقَ (هرمز) الأَرْضَ والإِنْسانَ والحيوانَ، فخلقَ (أهرمان) الشياطينَ، وامتدَّ ذَلِكَ ثلاثة آلاف سنةٍ.

وفي الدَّورَةِ الثَّالِثَةِ – وهي تَمْتَدُّ ثلاثةَ آلافِ سنةٍ – وجِدَ زَرَدَشْت وبشَّرَ بدينِه، وسيأْتي بعدَهُ مُصْلِحونَ ثلاثة.

ثُمَّ تبدأُ دورةٌ رابعةٌ يتغلَّبُ فيْها (هرمز) على (أهرمان) فيقضي عَلى كُلِّ الشُّرورِ وتَسودُ الخَيْراتُ، ولا يَبْقى في العالَمِ إلّا رَبٌّ واحِدٌ، والنَّاسُ على اتِّصالٍ وثيقٍ به.

على أَنَّهُ يَنْبَغي للنّاسِ أَنْ يُساعِدوا (هُرْمُزَ) في القَضاءِ على الشرّ، فللإِنْسانِ أَثرُه في ذَلِكَ الصِّراعِ بيْنَ الخَيْرِ والشرّ، والإِنْسانٌ مدعو إلى أَنْ يُحارِبَ إلى جانِبِ الخَيْرِ، وفي ذَلِكَ عونٌ لهرمز في القضاءِ على الشرّ.

وهكذا نرى أنَّ هَذِهِ الدّيانَة تَبتَدِئُ ثَنَويَّة (فيْها الخَيْرُ وفيها الشرُّ) يتَقاتَلان ولَكِنَّها تنتهي وحدانيَّةً توحيديَّةً، إذ يتغلَّبُ الخَيْرُ على الشرّ.

ولعل زَرَدَشْت وَجَدَ قَبْلَ عَصْرِهِ عدداً منَ الآلهةِ تُعبَدُ، فحوَّل العَقيْدَةَ بها بأَنْ جعلها أَفْكاراً لا آلهة ذات أشكالٍ، وقسَّمها إلى قِسْمَيْنِ (قسم خَيِّرٍ، وقسم شرّير) بحيث يقضي الخَيِّرُ على الشِّرّير.

ولعله لم يَكُنْ في ذهنِ زَرَدَشْت أنَّ الخِصالَ التي خلَقَها (هرمز ، وأهرمان) هيَ آلهةٌ إنَّما هيَ تمثيل للاتِّجاهاتِ، فأَتى مَنْ بعدَهُ فجعَلوها آلهةً يَعْبُدونَها. ومن هَذِهِ الآلهةِ إِلَهٌ أَسْقَطَهُ زَرَدَشْت عَنْ مكانتِهِ القَديْمَة وَهوَ (كمترا) هَذا الرَّبُّ اعتقدَ النَّاسَ بَعْدَ زَرَدَشْت في عَصْرِ السَّاسانيينَ

أَنَّهُ (إِلَهُ النُّوْرِ) فجُعِلَ إِلَهاً حقيقياً، وقيلَ إِنَّهُ ضـــحَّى ثوراً وخلقَ بدمِهِ الكائنات، ولذلك يُضحَّى بثَوْرٍ عِبادَةً له.

كانَ زَرَدَشْـت على ما يُقالُ قدْ رأى أَنَّ الرَّبَّ يُمْكِنُ تمثيلُه بشـكلِ جواهرَ طبيعيّة خالصـةً أَهَمها النّارَ، وأتى الكَهَنَة فأحدثوا من ذَلِكَ عِبادَةَ النّار. وكانَ أن اشـتهرت ديانَةُ زَرَدَشْـت بالمَـجوسيَّة أي عِبادَةَ النّار. وعِبادَةُ النّار إِنَّما أَصْلُها في ديْنِ زَرَدَشْت تطهير النيران من الدنس باعتبارها من الجواهر الإلهية المَخْلوقة. ولما عبدت بَعْدَ ذَلِكَ أحدثت لها هياكل ووضع في كُلِّ هيكل نار تتقد ولا تنطفئ أبداً. وكانَ للكهنة الذين يُقيْمونَ في المعابد بَعْدَ زَرَدَشْت أثر كَبيْر فهم المحامون لدينه وَهُمْ المطهرون لعبادته ووصـــل أثرهم إِلى الحكم نفســـه فَكانوا يوجهون المُلوكَ.

اليومُ الآخر عندَ الزَّردشتيَّةِ:

النَّاسُ في الزردشتيَّةِ مُحاسبونَ على أَفعالِهم، وستوزن تلك الأَفعالُ في اليَوْم الآخرِ وزناً دَقيقاً، وهي مسـجَّلةٌ تسـجيلاً تامّاً، ويمرُّ الإِنْسـانُ على طَرِيْقٍ تحتَه جهنَّم، فإِنْ كانَ المارُّ صـاحِبَ خَيْـراتٍ وَجَدَ الطَرِيْقَ عَرِيْضاً، وانتَقَلَ منه إِلى عالَمِ النُّورِ، أَمّا إِذا كانَ صاحِبَ شرورٍ فإِنَّهُ يجِدُ طَرِيْقَهُ ضـيِّقاً جدّاً فيقعُ منه إِلى جهنَّم، وإِذا توازنت أَعمالُه الطَّيبةُ مَعَ أَعمالِه السَّـيئةِ وجبَ عَلَيْهِ أَنْ يمرَّ بالمَغْسلِ، وأَنْ يغسِلَ ذنوبَه ثُمَّ ينتقل إِلى عالم النُّورِ.

الزردشتيَّةُ في العَصْرِ الحاضِرِ:

ذكرنا أَنَّ الدّيْنَ الزرادشـتي انتَقَلَ إِلى عَصْـرٍ كانَ فيه مُظْلماً لم يُعرَفْ، ومجهولاً مخفيّاً، وامتدَّ هَذا العَصْرُ ونما ولعلَّه بلغ أَرْبَعَةً أَوْ خَمْسَةً من القُرونِ، ثُمَّ أعادَ السَّاسانيّون هَذا الدّيْنَ، وترْجموا (الأفسـتا) إِلى الفَهْلَويَّةِ، وأَسَّـسـوا هياكِلَ النِّيرانِ في كُلِّ مدينةٍ، ووضَـعوا عليها الحفَظَةَ، وامتدَّ الأَمْرُ إِلى ظَهَرَ الإِسلام ومدَّ رواقَه على أَماكن انتشار الزَّردشتيَّة، فبدأت الزردشتيَّةُ بالانْحِسارِ وعِبادَةُ النّارِ تتلاشـى، وبخاصَّـةٍ في زمن المتوكِّل العبَّاسـيّ، فانتَقَلَ بَعْضُ المتعبّدينَ لها مُهاجِرينَ إِلى بلادِ الهنْدِ، وفيها اليَوْم مِنْهُم عددٌ يُدْعَونَ بـ(الباريسين) أي: الفرس القدماء.